# لا أريد طفولتي

د. سناء أبو شرار

الكتاب : لا أريد طفولتي

المؤلف : د. سناء أبو شرار

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠٢٢

رقم الإيداع : ٢٠٢٢/٥٨٧١٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 351 - 6

---

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

www.shams-group.net

---

شمس
للنشر والإعلام

# لا أريد طفولتي

## صرخات طفل عربي صامت

الطبعة الثانية

د. سناء أبو شرار

# إهــداء

إلى طفلٍ صامتٍ ملأ قلبه الألم، ومنع نفسه من البكاء كي لا ينهرهُ من حوله...

إلى طفلٍ صامتٍ لا يرى في الوجود سوى أمه ولكنها لا تراه...

إلى طفلٍ صامتٍ اعتاد على الألم لدرجة مواساته للكبار...

إلى طفلٍ صامتٍ تمنى الموت رغم سنوات عمره المعدودة على الأصابع لأن الحياة تحولت إلى مجرد ألم...

إلى طفلٍ صامتٍ تمنينا حضوره وحين أرسله الله تعالى لنا نسينا وجوده وتناسينا ألمه...

إلى أرواحٍ رقيقة شفافة سجينة واقع الحياة، لا تجد منفذًا ولا مخرجًا سوى دموعها الصغيرة الدافئة، حتى أن دموعها لشدة رقتها تبدو عذبة لا ملوحة تشوبها، هذه الأرواح التي تبدو سجينة أنانيتنا وقسوتنا...

إلى أجساد صغيرة ورقيقة لا تملك القدرة على الهروب فتختبئ تحت طاولة ما، أو خلف باب ما ربما تحميها الطاولة أو الباب من قسوة طال أمدها ولا مُنقذ منها...

## ( ١ )

لماذا ننسى بأننا قد نرحل بأي لحظة

وأن أقل وأعظم ما يمكن أن نقدِّمه

هو شيء من الحب... أو كل الحب

---

أنا طفل... لدي كل ما أريد: التليفون الخلوي والألعاب الإلكترونية وتليفزيون خاص بي في غرفتي، وأصدقاء يزورونني حين أريد، ولدي أيضًا كل ما أرغب بأكله... ولكنني ورغم كل هذا لا أدري أن كنت سعيدًا أم لا، وأنسى أحيانًا أنني لست سعيدًا حين آكل أو ألعب.

حين يتحدث أحد أصدقائي أن أمه تستيقظ مبكرًا لإيقاظه وتحضر له الفطور وتُقبله قبل أن يركب باص المدرسة، وأنها تنتظره بشوق حين يعود للبيت؛ أنسى كل ما لدي ولا أشعر بطعم الأكل في فمي، فأنا لا أرى أمي إلا حين تحل ساعات المساء، تنتظرني الخادمة وتحضِّر أغراضي وتراجع معي دروسي.

لا أستطيع أن أقول إن كنت سعيدًا أو حزينًا... ولكن هنا في صدري يوجد شوق لأمي، رغم أنني أراها في كل يوم؛ ولكنني لا أشعر بأنها موجودة في حياتي، فكيف أشتاق لها وأنا أراها في كل يوم؟!

ويراودني سؤال مزعج حين أنتظرها طويلاً: ترى، ماذا لو لم تعد أمي؟ ماذا لو أصابها شيء ما وهي خارج البيت لساعات وساعات؟... أتجاهل السؤال، ولكن شيء واحد لا أتجاهله وهو إن أصابها شيء فسأتذكر دائمًا بأنني كنت أنتظرها لساعات طويلة، ألعب بالحديقة وكأنني سعيد بألعابي، ولكن لا أحد يدرك بأن عيوني على الباب بانتظار عودة أمي الجميلة.

وبعد أيام وشهور وسنوات لم أعد أنتظر والدتي، نسيت تفاصيل كثيرة متعلقة بها، ولكنني لم أنسَ ولن أنسَ انتظاري لها ونظراتي المعلقة على الباب شوقًا لرؤيتها.

• • • •

## ( ٢ )

أصعب المشاعر في الوجود

هي أن تتمنى موت من تحب، لقسوته وظلمه

لا تريد موته فعلاً، ولكن تريد أن تحيا دون خوف

---

أنا طفل... أحب أبي وأمي، ولكنني أخاف من أبي، حتى حين يقترب أحيانًا مني ليُقبِّلني أشعر بالخوف وأمدُّ يدي كي أحمي وجهي قبل أن يضربني، فيُبعد يدي ويُطمئنني بأنه لن يضربني، ثم يُقبِّلني فاشعر بالأمان والحب معه.

أعرف بأنه يحبني، ولكنني ورغم حبه أخاف خوفًا شديدًا منه، وحين يضربني أرى أن يده تصبح أكبر حجمًا من حجمها العادي، فأنظر لأمي عسى أن تنقذني من ضرباته، ولكنها تقف أيضًا خائفة وتبكي.

إنه أبي وأحبه، ولكنني أخاف منه، وأتمنى... وأتمنى أحيانًا وليس دائمًا؛ لو أنه يموت...

لا... لا أتمنى موته، بل أتمنى لو أنه يتوقف عن ضربي، ولكن لا أدري كيف أجعله يتوقف عن ضربي، فيبدو الموت هو الحل الوحيد.

وربما أنا من قد يموت، فضرباته مؤلمة، وأحيانًا أشعر بأنني قد أموت بين يديه، فكيف يمكن أن يتوقف عن ضربي؟ ومن سيحميني ويحمي والدتي منه؟

والدتي وحيدة ولا أقرباء لديها... قلت لها إننا يمكن أن نتصل بالشرطة، فقالت لي وهي تبكي: سوف نتسبّب بفضيحة لنا ولوالدك، ثم إذا ذهب للسجن من سوف ينفق على البيت؟!

صمتُ، وعدت لدعائي بأن يموت والدي الذي أحب.

• • • •

# ( ٣ )

قد نتحدث لغة واحدة، بثقافة واحدة، أو بعدة ثقافات

ولكن هناك عميقًا، تقبع الروح غريبة عن الآخر

وحينها فقط تتفتت كل الروابط

---

أنا طفل... أبي عربي وأمي هي أمي، ولكن يقولون لي إن أمي أجنبية، أي أنها ليست عربية. أتحدث معها بلغتها الأجنبية وأتحدث مع أبي بلغته العربية، أفهم الاثنين، ولكنني لا أفهم لماذا يقول أبي شيئًا وتقول أمي حين يغادر أبي شيئًا آخر.

أحيانًا كثيرة لا أدري كيف أتصرف، هل أُطيع أمي أم أُطيع أبي، لقد علماني لغتيهما، ولكنهما لم يعلماني كيف يمكن أن أفهمهما؛ كلٌ منهما يفهم لغة الآخر، ولكن هناك في داخلهما يوجد عالمان مختلفان، وأنا لا أعرف إلى أي عالم منهما أنتمي.

كنت أعتقد بأن البشر حين يتحدثون بلغة مشتركة يتفاهمون سريعًا والآن أعلم بأن اللغة لا تكفي لكي أفهم من حولي، ولا تكفي لكي أحبه، ولا تكفي لكي أفهمه، لأن أمي وأبي يتحدثان لغة مشتركة ولكنهما لا يتفاهمان، لا يحبان بعضهما البعض وأنا أتكلم لغة كل منهما؛ ولا أفهمهما.

قطتي الصغيرة لا تتكلم، ولكنني أحبها وأفهمها، وهي كذلك، لهذا تعلمت جيدًا بأن الحب شيء أكبر من اللغات والكلمات التي يردِّدها البشر في كل دول العالم.

• • • •

## ( ٤ )

أولئك الذي يصمتون كي لا يزعجوا الآخرين

أولئك أصحاب المشاعر الرقيقة لحد الانسحاب

هم أشد البشر ألمًا وجمالاً

---

أنا طفل... كانت لدي أم، أعني أن أمي كانت تعيش معنا أنا وأخوتي، ولكنها في يومٍ ما تشاجرت معي أبي وأخذت ملابسها وغادرت، وقال لنا أبي بعد أيام بأنه طلَّق أمي، وأنها موجودة في بيت أهلها، وحين نريد رؤيتها سوف يأخذنا لزيارتها، ولكنها لن تعيش معنا.

وهكذا يوجد لدي أم؛ لكنها ليست موجودة.

حين غادرتْ أمي كنت أبكي كثيرًا، ووجدتْ الخادمة علاجًا لبكائي فكلما بكيتُ أعطتني كأسًا كبيرًا من "البيبسي". واكتشفتُ أيضًا بأن هذا الكأس يخفِّف من حزني فبدأت أشربه عدة مرات في كل يوم.

واكتشفتْ الخادمة أن الطعام يجعلني أكثر هدوءًا، فبدأت وجباتي تبدو أكبر وأكبر، وشعرت أنا أيضًا بأن الطعام شيء رائع لأنني أنسى شوقي لأمي.

وهكذا أصبح كأس البيبسي والوجبات السريعة الضخمة أجمل ما أحصل عليه، فبدأت صورة أمي تصبح أصغر حجمًا بأفكاري، واصبحت أطباق الطعام أكبر حجمًا في جسدي.

المشكلة هي أنني تخلصت من شوقي لأمي، ولكنني لم أتخلص من وزني الضخم، فأنا لا أستطيع أن ألعب مع أصدقائي، وزملائي في المدرسة يسخرون من حجمي، والكراسي المخصصة لمن في سني تبدو ضيقة بالنسبة لي، ومن حولي يعاملونني بأنني أكبر من سني بسبب وزني.

أعتقد بأنني حللت مشكلة افتقاد أمي، ولكنني أواجه الآن مشاكل أصعب لم أعد أستطيع حلها، فأنا أريد ان أكون نحيفًا، لكن توقفي عن الطعام يعني أن أعود لحزني مرة أخرى، ثم أنني أحب هذا الطعام ولا أعتقد بأنني أستطيع التوقف، لأنني حين توقفت مرة بدا العالم تعيسًا ورغبت أن أكسر كل الأشياء من حولي حتى أنني رغبت أن أضرب الخادمة.

لذا لابد أن أستمر بالأكل كي لا أزعج أحدًا من حولي؛ خصوصًا أبي والخادمة.

••••

( ٥ )

الإيمان بالله ضرورة بالنسبة للطفل

ولكنه أيضًا قارب نجاة حين لا يفهم الطفل البالغين من حوله

فيكون الله تعالى الأم والأب وكل الدفء في الوجود

---

أنا طفل... أحب طفولتي، ولكنني فهمت أشياء كثيرة مبكرًا في حياتي، فأنا لا أستطيع أن أسمع ما يدور من حولي إلا بواسطة جهاز صغير تم زرعه في أذني، وحين يُنتزع الجهاز من أذني أغرق في الصمت.

المشكلة هي أن هذا الجهاز لا يجعلني أسمع كل شيء وبالدقة اللازمة، فأحيانًا لا أفهم بعض الكلمات، وحين لا أفهم تغضب أمي وتصرخ بأعلى صوتها كي أسمع وأفهم ما تقول.

لابد أن أكون متفوقًا في صفي، ولابد أن أحاول سماع كل كلمة تقولها المُعلمة.

ما عرفته أخيرًا هو أنني من ذوي الاحتياجات الخاصة، وأنني أصم... لقد أخبرني بذلك صديقي في المدرسة. وحين أخبرت أمي غضبت وطلبت مني أن أخبرها اسم صديقي هذا ليتم عقابه من قِبل المديرة، فرفضتُ أن أخبرها لأنه صديقي الوحيد وأحبه.

المشكلة الآن لم تعد في كوني أصم، ولكن بكون أمي ترفض إعاقتي.

أستطيع أن أسمع وأفهم أشياء كثيرة، ولكنني أجد أن العالم من حولي شيء صعب، وأرغب أحيانًا؛ خصوصًا حين تغضب أمي؛ أن أغرق في الصمت ولا أسمع صراخها، ولكنني أرى ذلك الغضب أيضًا في عينيها فيصبح العالم أكثر صعوبة لأن أمي ترفض أن أكون ذاتي كما خلقني الله.

• • • •

( ٦ )

العنف ضد الطفل جريمة فظيعة

ولكن الإهمال جريمة أبشع

---

أنا طفل... يوجد لدي بيت وسرير ومكتب صغير، ولكنني أعيش في الشارع... حين أعود من المدرسة أتناول الغذاء وتسألني أمي إن كان لدي واجبات فأحلها سريعًا، ثم أخرج لألعب في الشارع.

تمر الساعات وأنا ألعب مع أصحابي أو أجلس على الأرصفة، وحين أتعب قليلاً أعود للبيت، ولكن أمي لا تحتمل الضجة التي أسببها في البيت والأشياء الكثيرة التي أعبث بها، فتطلب مني أن أذهب لألعب في الشارع، فأخرج من جديد، إلى أن يحل الظلام فأعود متعبًا، أتناول العشاء وأنام سريعًا لشدة التعب... وفي أوقات الإجازات أقضي كل يومي في الشارع منذ ساعات الصباح حتى ساعات الليل المتأخرة.

قبل أن أعتاد على حياتي في الشارع؛ كانت كلمات أمي مهمة بالنسبة لي، ولكن الآن ولأن عالمي هو الشارع؛ لم يعد لكلماتها أي أهمية.

حين يخرج والدي من البيت أعرف بأنني أستطيع أن أتصرف كما أريد، فأمي تنادي أو تصرخ وأنا أفتح الباب وأخرج راكضًا لعالمي الحقيقي على الأرصفة والساحات الرملية.

المشكلة هي أن والدي يخرج مبكرًا للعمل ويعود متأخرًا، وحين يراني في الشارع بوقت متأخر يغضب ولا أستطيع أن أقول له بأن أمي تطلب مني أنا أخرج للعب في الشارع، فأصمت وأحتمل تأنيبه أو ضربه أحيانًا، ولا أغضب حقًا لأنني أشعر بأنه يهتم بي، لأنني وأحيانًا كثيرة حين أتأخر في العودة ليلاً أتساءل لماذا لا تتذكر أمي غيابي طوال هذه الساعات! لماذا لا تحضر لتناديني وتقول لي: لقد تأخرت أرجع للبيت!

والآن لم يعد لكلماتها أهمية ولم يعد منزلي بيتي، ولكن بيتي هو الشارع، حيث ألعب وأشعر وأضرب وأفرح وأحزن.

••••

## ( ٧ )

السياج الضيق لا يمنع الأشجار من أن تكون مثمرة

ولكن لن يكون لها ظل وارف

---

أنا طفل... متفوق، الأول ليس على صفي فحسب؛ بل وعلى كل الصفوف، يصفقون لي حين أستلم شهادتي وأنظر حولي بفخر. ولكنني وفي داخلي لست سعيدًا، فلا أحد يعلم ما ثمن تفوقي!

ثمن تفوقي هناك في البيت، حيث تنتظرني نظرات وكلمات أمي بل وغضبها إن فقدت علامة صغيرة... في كل يوم أجد برنامج دراستي على طاولتي وأمي تدور حولي لتتأكد من أنني قد حفظت كل الدروس... وحين يتملكني الضجر تغضب أمي وتحرمني من الأشياء التي أحب، فأعود لدراستي. وحين يتصل أحد أصدقائي بي تقول له بأنني مشغول.

أدرس وأكتب وأحفظ، ولكن بأعماقي يوجد فراغ لا أعرف كيف أملأه... صحيح أنني متفوق، ولكنني أشعر بأنني أقل من عادي حين أرى مواهب زملائي من حولي، فهل أنا متفوق فقط وبلا موهبة؟ أم أن أمي أخمدت أي موهبة بي ثمنًا لتفوقي؟

• • • •

## ( ٨ )

أطفالنا ضيوف في حياتنا

فلنحسن ضيافتهم بكرم وحُب

كي تبقى قلوبهم محطات دافئة تستقبلنا

حين يحل الخريف بصمته والشتاء ببرده

---

أنا طفل... لدي عدو صامت، لا بل له صوت، ولكنه صوت هادئ، إنه صوت خرير الماء في أرجيلة والدتي، عدوي أو عدوتي هي تلك الأرجيلة التي تدِّخنها أمي طوال النهار.

أعود من المدرسة وأتناول طعامي، وبعد الغذاء تجلس أمي حتى ساعة متأخرة من المساء تدخن الأرجيلة. وحين أتحدث إليها ترد على أسئلتي من خلال دخان التبغ المتصاعد في الغرفة. أشعر بأنها لا تفكر بما أقوله لها، فهي تردد نفس الكلمات على أسئلتي في كل يوم، وتقول لي من بين نفسٍ والتالي: هيا أذهب الآن لتأكل... هيا أذهب الآن للعب مع أصحابك... هيا...

أمي لا تفعل شيئًا، ولكنها مشغولة تمامًا بتدخين الأرجيلة.

كنت قد اعتدت على تلك الأرجيلة وعلى رائحتها التي تملأ البيت، ولكن شيء ما أصابني بمشاعري حين زرتُ صديقي ورأيت أن أمه تتحدث معي ومعه ترد على أسئلته وتسأله عن كل ما حصل معه في المدرسة، تنظر مباشرةً بعيوننا لأنها تهتم بكل كلمة نقولها... حين بدأتْ بالحديث معي شعرت بالحرج الشديد، فأنا لم أعتد أن تتحدث معي امرأة مثل أمي باهتمام وكأن ما أقوله له قيمة بالنسبة لها.

سألتُ صديقي هامسًا: هل تدخن أمك الأرجيلة؟

ضحك وقال: لا، بل حتى لا يوجد لدينا أرجيلة في البيت.

شعرت حينها بأن عدوتي هي الأرجيلة حتمًا، لأنها تجعل أمي تنسى وجودي... وبين أن أختار أن أكره أمي أو أرجيلتها؛ أخترت أن أكره الأرجيلة، فقرّرتُ التخلص منها...

نهضت في منتصف الليل وكسرت أرجيلة أمي. وحين استيقظتْ أمي في الصباح ووجدت الأرجيلة مكسورة غضبت وصرخت بوجهي بأنني قد أكون من كسرها، ثم صرخت بوجه الخادمة التي يمكن أن تكون قد كسرتها.

خفتُ قليلاً، ولكنني شعرت بالسعادة لأن الأرجيلة لم تعد موجودة.

لكنني وحين عدت للبيت بعد المدرسة وجدتُ أرجيلة جديدة تضع أمي بها التبغ وتطلب من الخادمة تحضير الفحم لها... رغبتُ بأن أكسرها أمام أمي، ولكنني أعرف بأنها سوف تشتري واحدة جديدة، فالتزمت الصمت وذهبت لغرفتي باكيًا لأن عدوتي الصامتة تبدو أقوى مني.

والآن أصبحت أنتظر بشغف زيارة صديقي كي أشعر باهتمام أمه التي تعاملني كأنني ابن لها، فأقول لها ما أرغب بأن أقوله لأمي وأسألها عما أرغب بأن أسأله لأمي... ومع الوقت لم أعد بحاجة للحديث مع أمي، وأرجيلتها لم تعد عدوتي، لقد قررت ترك الساحة للأرجيلة لأنها وببساطة تبدو أهم مني بالنسبة لأمي، فيبدو أن أمي يمكنها الاستغناء عن الحديث معي، ولكنها لن تستغني عن تلك الزجاجة الشفافة وذلك الخرطوم الملون الطويل وحلقات الدخان التي تملأ البيت.

• • • •

( ٩ )

أشقى القلوب، قلوب تجرعت الكره في الطفولة

وحين شبَّت أصبح الكره نهج حياة، ودفاعًا عن النفس

ثم يتحول إلى عزلة قاتلة مع الذات ومع الآخر

---

أنا طفل... أحب أمي وأبي، ولكن أمي لا تحب أبي، ولكي تحبني أمي لابد أن أكره أبي وحين أتحدث عنه لابد أن أقول كلمات سيئة عنه، وأن أقول لأمي بأن الحق معها بكل شيء وأن الحق على أبي بكل شيء، وأضطر أن أقول هذه الكلمات كي لا تغضب أمي وتكرهني. ولكنني في قلبي أشعر بالخجل والألم، فأبي لا يقول أي كلمة سيئة عن أمي بل وينهرني إذا تحدثت عنها بشكل سيء، وحين تصرخ بوجهه يغادر الغرفة كي لا يغضب أمامنا...

المشكلة هي أن أمي تريدني أن أتجسس على والدي، أيضًا أن أقول لها مع من يتحدث حين نخرج من البيت، وأن أقرأ الرسائل الموجودة على جهازه الخلوي، وأن أستمع لما يقوله على الهاتف وهل من يتحدث معه امرأة أم رجل... لا أريد أن أقول عن أبي أشياء سيئة، فأنا أحبه ولا أريد أن أتجسس، عليه وأشعر بالتعب من كل هذا... إلى أن صرخت بوجه أمي: إذا كنتِ تكرهينه لهذا الحد فلماذا لا تطلبين الطلاق؟

صفعتني بعنف وقالت: لا أطلب الطلاق لأجلك، لأنني لا أستطيع أن أرحل وأتركك مع أب مثله!

أجبتها بقلبي وروحي: (بل اتركيني وأرحلي، عسى أن أعيش بشيء من الحب بعد رحيلك).

بكيتُ؛ ليس لأجل صفعتها المدوية، ولكن لأنني لم أعد أريد أن تبقى لأجلي، أريدها أن ترحل ويرحل معها الكره والغضب.

• • • •

## ( ١٠ )

كل أشواك النفس تنمو في حقل مهجورٍ

في قلبٍ وحيدٍ ومُهمل

وهذه الأشواك لا تميز بين قلب الصغير أو قلب البالغ

لأنها في جميع أحوالها مؤلمة ونازفة؛ وإن كانت صامتة

---

أنا طفل... لدي أب وأم مثل كل الأطفال، ولكن أبي متزوج من امرأة غير أمي، وأمي متزوجة من رجل غير أبي... أعيش مع أبي وزوجته، أو بالأحرى أنام في بيت أبي، وأقضي كل يومي في بيت جدي وجدتي، أعود في المساء حين يحل الظلام ولا يتبقى من اليوم سوى تناول العشاء والنوم.

زوجة والدي لا تسألني أين كنت، ووالدي لا يكون موجودًا في البيت حين عودتي، وإن كان موجودًا يسألني: أين كنت؟ وحين أخبره أنني كنت ببيت جدي لا يقول شيئًا، لأنه بيت والديه. ولكنني في بعض الأحيان، أتمنى لو يسألني: لماذا تذهب هناك طوال الوقت؟ لماذا لا تبقى هنا ببيتك؟... ولكنه لا يسألني، وزوجته لا تتذمر مني.

أقضي أيامي بهدوء بين الشارع وبيت أبي وبيت جدي وجدتي، ولكنني في قلبي أشعر أنه لا بيت لي، لأنه لا ينتظر أحد عودتي

ولا يسأل أحد أين سأذهب... ربما قطتي الصغيرة فقط هي من يهتم ويتبعني حيث أذهب وتنتظرني متى سأعود... وأنا أيضًا اعتدت ألا اسأل أبي أين سيذهب أو متى سيعود.

• • • •

## ( ١١ )

هناك نوع من الحب مُدمِّر

حين تقتل شخصية وروح من تحب بذريعة الحب

الحب الحقيقي هو أن تقدِّر شخصية وتفكير وشعور من تحب

لذا فالأهم من الحب هو نوع هذا الحب

وما يمنحه وما يسلبه، بل وما قد ينتهكه

---

أنا طفل... جميل وشعري أشقر، وأمي تحبني كثيرًا، ولا تحب أن أقص شعري، وتغضب حين يطلب منها والدي أن أقصه، فأنا طفلها الجميل وتنظر لي بإعجاب كبير، وتتحدث عني في كل مجلس... تنتقي لي أجمل الثياب، وتستجيب لكل مطالبي.

كل شيء كان على ما يرام، إلى أن غيرت مدرستي، حيث كنت مدللاً لأن والدتي كانت صديقة للمدرسات وكن يُعجبن بجمالي تمامًا مثل أمي... المشكلة الآن هي أنني في مدرستي الجديدة لا أحد يهتم لجمالي ولأناقتي، ولا أستطيع أن أدافع عن نفسي، أختبئ من الأولاد الذين يريدون ضربي، وأخجل أن أقول لأمي أن الأولاد يضربونني في المدرسة... وحين أعود وترى كدمة على وجهي تسألني، فأخبرها بأنني قد وقعت على درج المدرسة... لكنني وفي النهاية أخبرتها بأنهم يضربونني، فذهبت للمدرسة وقالت للأولاد بأنهم يغارون مني لأنني أجمل وأفضل منهم.

وقفتُ خلفها أستمع لكلماتها، ولأول مرة أتمنى ومن كل قلبي لو أنني كنت أبشع ولد في المدرسة وألا أسمعها تقول لهم ذلك.

استمروا بضربي والسخرية مني، وأنا لم أعد أخبر أمي لأنني لم أعد أريد أن أكون طفلها الجميل، أريد أن أكون مثل كل الأولاد، سوف أقص شعري وأضرب وأركل من يسخر مني، ولن أدع أمي تأتي للمدرسة مرة أخرى.

• • • •

## ( ١٢ )

شوق الطفل ليس كشوق البالغ

إنه شوق من نوع سماوي وملائكي

لذا وحين يتصارع البالغون؛

لابد أن يحترموا هذا الشوق الطاهر والشديد الإيلام

---

أنا طفل... لا أحب أن يأتي الليل؛ فحين يعود والدي متأخرًا من عمله يتناول طعامه ويشاهد التلفاز، ثم يذهب لغرفته وتلحق به والدتي إلى غرفة النوم، وحين يُغلق باب الغرفة؛ أستمع لصراخ أبي وأمي، لا أفهم كل ما يقولانه، ولكنها تقول له دائمًا نفس الكلمات: أين كنت؟ هل أتيت من عندها؟ لماذا لا تأتي بوقت مبكر؟ لماذا وكيف وأين؟

يصمت والدي ببداية الأمر، ثم يفقد أعصابه ويصرخ، ثم يضربها، فأستمع لبكائها ولا أستطيع النوم.

في إحدى المرات ذهبت أدافع عنها، فنهرني والدي وهددني إن دخلت الغرفة بهذه الصورة مرة أخرى فسوف يضربني أيضًا.

أمي تقول نفس الكلمات في كل مرة، ووالدي يرد عليها بنفس الكلمات، أحيانًا يضربها وأحيانًا لا.

قلت لأمي يومًا ما: لماذا تسألينه نفس الأسئلة كل مرة؟... نظرت لي بغضب وقالت: أنت وقح، ووالدك لا يقول الصدق لذلك أسأله، ومن حقي أن أعرف.

لم تتوقف والدتي عن سؤال والدي، ولكنه توقف عن الغضب؛ وفي ليلة ما لم يرد عليها ولم يصرخ وكل ما سمعته هو صوت باب البيت يغلقه وراءه... خرج والدي وتزوج بأخرى.

كنت أريد أن أقول لأمي: لو أنكِ لم تسأليه كل تلك الأسئلة في كل مرة ربما كان بقي معنا... ولكنني خفت من غضبها.

أشتاق لوالدي... أنام الآن بهدوء، فلا أحد يصرخ. ولكنني أستمع أحيانًا لبكاء أمي الصامت، فأتذكر أبي وصوته... وأبكي لأنني اشتقتُ حتى لصراخه.

••••

## ( ١٣ )

حين يتألم الطفل ويمرض، يفكِّر بأشياء لا يفكر بها البالغ

أشياء شفافة رقيقة تمامًا مثل روحه

فمن يريد أن يشعر ويتعلم الرقي الإنساني الحقيقي

فليستمع وبانتباه لما يقوله الطفل حين يمرض ويتألم

---

أنا طفل... في يومٍ ما مشمس وجميل شعرتُ بألم شديد برأسي، وبدوار جعلني أقع على الأرض. اعتقدت والدتي بأن ضربة شمس قد أصابتني، ولكن هذا الألم والدوار تكرَّرا، فقرر والداي اصطحابي للمستشفى، وهناك تم إجراء العديد من الفحوصات، وفي ذلك اليوم أصبح لدي حياة أخرى، حياة تتنقل بين البيت والمستشفى، اكتشف الأطباء وجود ورم بدماغي.

أمي وأبي يبتسمان دائمًا لي، ويقولان لي بأنني سوف أتعافى قريبًا، ولكنني أسمع بكاء أمي من حين لآخر ومواساة أبي لها.

تم إجراء عملية جراحية لي في رأسي، أصبحت أشعر بالضعف أكثر بعد العملية، سألت أمي لماذا أشعر بهذا الضعف رغم إجراء

العملية، فابتسمت وقالت بأنني سوف أتحسن بعد فترة.

كنت أصدق والدتي دائمًا، إلى أن سمعت بكاء أبي، فعلمت بأنني لن أتحسن، فهذه أول مرة بحياتي أسمع بها بكاء والدي. نسيت مرضي وحاولت أن أنهض من فراشي لأذهب لوالدي وأحضنه وأقبله، ولكنني وقعت على الأرض ولم أتمكن من النهوض... صرختُ، وحضرت أمي مسرعة وأعادتني لسريري، طلبت منها أن تنادي أبي. حضر وهو يبتسم والدموع لا تزال تلتمع بعينيه:

- أبي، لا تبكي لأجلي، لا يهمني مرضي، المهم ألا تبكي، كل الألم الذي أشعر به أقل من ألمي حين أراك تبكي.

احتضني والدي وشعرت بدموعه تبلل ملابسي، ثم انسحب بصمت لأنه لم يعد يستطيع أن يتكلم.

نامت والدتي بجانبي، لم أنم، أغلقت عيني كي تعتقد بأنني أنام، أصغيت السمع لأنفاسها، وحين تأكدتُ من نومها، مكثت لوقتٍ طويل أنظر لها وكأنني أودِّعها.

حين أتى الصباح، أخبرت أبي وأمي بأنني لا أريد أن أنام بغرفتي بل أريد أن أنام بغرفتهما... نظرا لبعضهما البعض، ثم سألني والدي عن السبب، فقلت له كاذبًا:

- لأنني أخاف أن أنام وحدي.

ولكن الحقيقة أنني أريد أن أبقى معهما لأطول مدة قبل أن أرحل عن هذه الحياة وأشتاق لهما... سوف نموت جميعًا، ولكنني سوف أموت ومعي حب أمي وأبي، أحبهما كثيرًا، وإن افترقت عنهما في هذه الدنيا سوف يجمعني بهما الله تعالى في الآخرة.

في كل ليلة إلى أن يحين الرحيل، أستيقظ وأراقبهما حين ينامان أو يدّعيان بأنهما ناما، أملأ عيني برؤيتهما وأحفر وجهيهما عميقًا في روحي، لأنني أشتاق لهما حتى وهما معي. وما يؤرقني ليس ألمي ومرضي بل شوقي لهما حين أغيب.

••••

## ( ١٤ )

الوجود، كل الوجود، هو مجموعة قيم

رسمها كل منا لذاته ولمن حوله

فطوبى لمن أقتنى أرقاها وأسماها وأقربها لمرضاة الله تعالى

وهو من يمتلك الوجود، كل الوجود

---

أنا طفل... والدي شخصٌ مهم وأعرف أنه شخص مهم لأنني أينما أذهب يقف له الناس احتراما، وفي المدرسة حين أُخطئ لا يتم معاقبتي مثل بقية الأولاد، فأتصرف كما أرغب وأضرب متى أشاء وأتلفظ بما أريد من الكلمات.

والدتي مشغولة دائمًا باستقبال الضيوف، وحين يشتكي أحد ما من تصرفاتي ترد عليه دون أن تلتفت لمن يتحدث بأنني صاحب شخصية قوية لذلك أتصرف بهذه الطريقة.

ولكن سائق الباص الجديد غضب من تصرفاتي فأوقف الباص وقال لي بصوتٍ غاضب: أنت لم تتم تربيتك، وسوف تسبب مشاكل كبيرة لأهلك حين تكبر، أنت وقح وقليل الأدب وأنا لن أعود للعمل هنا بسببك.

أجبته بشخصية قوية: وأنت أيضًا قليل الأدب لأنك تتحدث عن أهلي أنهم لم يربونني، وأنا أتصرف هنا كما أريد ولا أسمح لك أن تصرخ بوجهي هل فهمت أم تريد أن أقول لك كلمات أخرى أكثر وضوحًا مثل أخرس و...

اتجه نحوى وقام بصفعي على وجهي. فبدأت بالصراخ وبشتمه بكل ما لدي من مصطلحات لا تمت بصلة للأدب، ثم اتصلت بوالدي عبر موبايلي باهظ الثمن... استشاط والدي غضبًا وفي اليوم التالي أتى معي للمدرسة كي يتم تأديب السائق الوقح، أتى السائق ووقف صامتًا وقال له والدي كلمات كثيرة بشعة لا أذكرها كلها... وحين انتهى والدي من كلامه قال السائق بهدوء: أيها الوالد الكريم، أنا لم أعد أعمل هنا وسوف أغادر المدرسة بسبب ابنك وتصرفاته الفظيعة في الباص، ولكن أريد أن أقول لك شيئًا واحدًا قبل أن أغادر: ابنك يفتعل المشاكل للأولاد الآن، وسوف يفتعلها لك في المستقبل إن لم تقم بتربيته قبل فوات الآوان، ابنك لا يتمتع بشخصية قوية ولكن بوقاحة غير عادية، وسوف تحصد ثمارها.

صرخ والدي بوجهه غاضبًا، ولكنه انسحب دون أن يرد.

جلست صامتًا بجانب والدي في السيارة، وقال لي بصلابة: رجل وقح، أنت بالطبع ولد قوي الشخصية...

صمتُ ولم أرد، كنت أرغب أن أشعر بالسعادة حين قال والدي ذلك لي، ولكنني لا أعرف ما الفرق بين قوة الشخصية والوقاحة كما قال السائق، لذلك فضلت الصمت... ولكن ما أعرفه حقًا ولا أقوله لوالدي هو أن الأولاد في المدرسة لا يحبونني ويتجنبون الحديث معي، حتى المدرسون يتجاهلون أخطائي ولكنهم يتصرفون معي كأنني لست موجودًا، فهل هذا بسبب قوة شخصيتي، أم أن والدي لم يعلمني كيف أكون محبوبًا، أم أنني لن أكون محبوبًا أبدًا بسبب قوة شخصيتي التي يتحدث عنها والداي؟

• • • •

( ١٥ )

حين نفهم الأمومة الحقيقية؛

نعلم أن كل امرأة هي أم لأي طفل

وحين نُسيء فهم الأمومة؛

نعتقد أن كل أم هي والدة ابنها فقط

---

أنا طفل... في يومٍ حزين قالوا لي إن أمي ماتت، وقفتُ دون حراك، ثم بكيت كثيرًا أنا وأخوتي... أبي كان صامتًا طوال الوقت، ولكنني كنت أراه من خلال فتحة الباب يبكي بصمت ثم يخرج ويتحدث معنا وكأنه لم يكن يبكي.

اعتقدتُ أن الحزن على موتها قد يستمر لوقتٍ ما ثم ينتهي، المشكلة هي أنه كلما مرَّ شهر أو حتى سنة على موتها يبدو غيابها أصعب وأصعب، لأنني أرى حزن والدي وأنه لا يستطيع دائمًا أن يعتني بنا... أختي الكبرى تطبخ أي شيء تعرفه كي نأكل.

سألتُ والدي بخجل: أبي، لماذا لا تتزوج وتعتني بنا زوجتك؟

أجابني بحزن: ومن ستقبل أن تتزوج رجلاً فقيرًا ولديه عدة أولاد؟! ثم لا أضمن أن تكون رحيمة بكم.

فنظرتُ إلى السماء وسألت الله تعالى: يا إلهي، ألا توجد هذه المرأة التي يمكن أن تساعد والدي المُتعب والحزين؟

وها أنا أنتظر إجابة السماء، وأراقب كل النساء، ربما أرى أن إحداهن يمكن أن تقبل بنا وبأبي الطيب.

• • • •

( ١٦ )

حين نُعلِّم الطفل مخافة الله منذ الصغر

ليس لأجل أن يكون إيمانه ممتزجًا بالخوف

ولكن لأجل أن نحذره مما يبعث على الخوف حقًا

لأن الأيام ستعلمه بأنه من يكون مع الله تعالى لا يخاف

---

أنا طفل... أقضي أوقات كثيرة أشاهد الكمبيوتر خصوصًا الإنترنت، أخبرني صديقي بأن هناك أشياء يجب أن أعرفها على الإنترنت، وأنني يجب أن أكبس كلمة "جنس" كي أشاهد وأتعلم...

فعلت كما أخبرني صديقي، فأصابني الرعب مما رأيت وأغلقت الكمبيوتر فورًا.

في اليوم التالي عدت لأكبس نفس الكلمة، ولكنني شاهدت ما على الشاشة لدقائق، ثم شعرت بالخوف مما أرى ومن أن أمي قد تأتي وتراني.

توالت الأيام إلى أن أصبح ما أراه مألوفًا بل ومرغوبًا... ثم بدأت أختار مشاهد أخرى حين أملُّ مما أرى.

حين تدخل أمي لغرفتي فجأة أغلق اللابتوب، تسألني بتعب لماذا أغلقت الجهاز فجأة وأُجيبها بأنني انتهيت من اللعب.

أمي لا تدخل لغرفتي إلا لتناديني للأكل أو لتبحث عن ملابسي لغسلها أو لتسألني إن كنت قد انتهيت من واجباتي، لذا أقضي معظم وقتي مع الكمبيوتر والأشياء التي تعودت أن أراها كل يوم. حتى حين أصمت لأيام بسبب ما أشاهده على الإنترنت لا تسألني أمي لماذا أنا صامت، فهي مشغولة بأمور البيت واحتياجاته وتدريس إخوتي، لذا أنا حر فعلاً في أن أشاهد ما أشاء.

المشكلة هي أنني لم أعد أنظر لأبي وأمي كالسابق، وأصبحت أفكر بأنهما يفعلان ما يفعله أولئك الناس على الإنترنت، تتوالى الصور برأسي ولا أرغب بالحديث معهما لأن تلك الصور تقفز بين كلماتي. كما وأنني لا أرى زميلاتي في المدرسة كالسابق بل أتخيلهن يتصرفن مثل فتيات الإنترنت. لم أعد أتحدث معهن للتسلية لأن تلك الصور المتراكمة في عقلي أصبحت أكثر من أن أقول كلمات بسيطة فأصمت ولا أرغب بالحديث، وأسترجع كل تلك الصور وأسأل نفسي متى أستطيع أن أفعل ما يفعلونه على الإنترنت فأنا الآن أعرف كل شيء؟

أعرف أن ما أقوم به خطأ، ولكن أمي لا تهتم أن تكتشف ما أفعله ولا أستطيع أن أقول لها، كما وأنني لا أستطيع التوقف عن رؤية تلك الصور، أعيش حياتي مثل كل الأطفال ولكن تلك الصور التي اكتظت بعقلي جعلت لي حياة أخرى أحيانًا كثيرة أشمئز منها ولكني لم أعد أستطيع أن أتركها إلى أن يأتي أحد ما ويمنعني ربما حينذاك أتوقف عن رؤية تلك الصور التي تتحرك أمامي وتنحفر بذاكرتي.

• • • •

( ١٧ )

متى سندرك أن روح الطفل تتألم مثلما تتألم روح البالغ

ومتى سندرك أن الطفل يرانا بعيون الروح لا بسنوات العمر

لذا يرى الحزن والألم ويشعرهما حتى ولو كان لا ينطق حرفًا

---

أنا طفل... غرفتي جميلة، وبيتي أجمل، لدي كل الألعاب، وأمي تحبني ووالدي كذلك، وأحب أقاربي أيضًا...

أعتقد أنني يمكن أن أكون أسعد طفل في العالم، ولكن نظرات أمي الحزينة وبكاءها الصامت يلون كل الأشياء الجميلة من حولي بلونٍ داكن لا أستطيع أن أصفه، ولكنه يجعلني أرى كل ما حولي من خلال نظرات أمي الحزينة.

أمي لا تتكلم كثيرًا، وإن تكلمت فتتكلم بصوت هادئ ومنخفض، أجل أنها مؤدبة جدًا، بل هي مؤدبة أكثر من كل أمهات أصدقائي... لست أنا من يجعل أمي حزينة، ولكنه والدي، فحين يأتي متأخرًا إلى البيت يكون عصبيًا ويغضب ويقول لها كلمات كثيرة أفهم بعضها ولا أفهم بعضها الآخر، وحين تلحق به والدتي لغرفة النوم تخرج في أغلب الأوقات باكية... كم أتمنى لو أعرف وأفهم لماذا أبي يريد أن تكون أمي حزينة!

إنها أمي اللطيفة الطيبة ولكنها الحزينة أيضًا. أحيانًا أريد أن أقول لأبي أن يأخذ كل الأشياء التي يشتريها لي وحتى أن يأخذ غرفتي الجميلة ولكن أن يجعل أمي سعيدة وألا أرى نظراتها الحزينة في كل مكان في البيت.

سألته مرة لماذا يصرخ بوجه أمي. فأجابني بغضب بأنها أمور أكبر مني للحديث عنها. وأنا أجبته بصوتٍ صامت أسمعه أنا فقط: (لا أحتاج أن أكون كبيرًا كي أفهم أن أمي حزينة).

• • • •

( ١٨ )

ذلك الذي يسير وحيدًا في الحياة

ولا يلتفت أحد لخطواته أو نظراته ويهون على كل من حوله

يهون الآخرون أيضًا بنظره، بل وتهون الحياة كلها

يمضي كحيوان جريح، ولكن ألمه يجعل منه وحشًا كاسرًا

---

أنا طفل... أعود كل يوم من مدرستي، أركض لغرفتي كي أتأمل ما سرقته من زملائي في الفصل، وأشعر بسعادة كبيرة. وحين تأتي أمي أخبئ كل الأغراض كي لا تراها. حين تسألني من أين لك بهذا الشيء أو ذاك؛ أخبرها بأن صديقي أشرف يعطيني دائمًا أشياء كثيرة. فتبتسم وتقول لي بأن أشرف هذا يحبك كثيرًا.

أمي لا تعمل، ولكنني لا أراها كثيرًا، فهي طوال الوقت مع صديقاتها وقريباتها، والبيت ممتلئ دائمًا بالزوار.

أحضرت لي أمي مدرسًا خصوصيًا لجميع المواد، فهكذا هي مشغولة بضيوفها، وأنا مشغول بدروسي. ولكني أترك المدرس يتكلم ويشرح وأفكر بما قد أسرقه غدًا وما قد سرقته اليوم؛ يراقبني أحل واجباتي وأكرر ما يريدني أن أحفظه.

وهكذا يمر يومي بهدوء، ولحسن الحظ أنني ذكي وأفهم بسرعة وإلا لمكث مُدرسي ساعات وساعات، لأن أمي اشترطت عليه أنه لن يستمر بتدريسي إن لم أحقق نتائج جيدة، فهي لا وقت لديها لتدريسي.

كل ما في حياتي كان يسير كما أخطط له، ولكن مديرة المدرسة أتت فجأة للصف وفتشت حقائبنا جميعًا ووجدت أشياء كثيرة مسروقة في حقيبتي، وخلال وقتٍ قصير كنتُ أقف أمام أمي والمديرة. كانت أمي مذهولة، ثم بدأت بالدفاع عني وأنه لابد أن طالب آخر قد وضع الأشياء بحقيبتي فأنا لدي كل شيء وعائلتي ميسورة.

نظرت لها المديرة وقالت: ابنك لا يسرق لأنه تنقصه أشياء، ولكنه يسرق كي يُخبرك بأنه لا يزال موجودًا في حياتك.

صرخت والدتي بوجهها وقالت لها أشياء كثيرة، ولكنني ومن الزاوية البعيدة التي تم وضعي بها، فكرت بكلام المديرة، وتذكرت بأنني غير موجود بحياة أمي، وأنني حين أصل للبيت أرمي بكل ما سرقته بالدرج ولا أنظر لتلك الأشياء المسروقة مرة أخرى. ولأول مرة أسأل نفسي: لماذا أسرق أشياء لا أريدها فعلاً؟

وكان على أمي أن تُجيب على ذلك السؤال؛ هذا إذا كانت تعرف الإجابة. يبدو أن المديرة تعرف الإجابة، ولكنني لن أجرؤ على سؤالها.

وغدًا لا أدري إن كنت سأسرق من جديد أم لا؟ ولكني أعلم بأن البيت سيكون مكتظًا بالضيوف وسوف أعود لأفكر من جديد كيف سأسرق ومن سأسرق، ربما أسرق أغراضًا لأمي وأبي وأبيعها لأصدقائي.

• • • •

## ( ١٩ )

حين يفقد القانون إنسانيته وشعوره تجاه المعاناة

يفقد هدفه الأسمى ألا وهو تطبيق العدالة

ويتحول إلى عقوبة ظالمة مُجحفة بحق الفرد والمجتمع

---

أنا طفل... أعيش مع أمي وأخي الصغير، ولا أرى والدي، رأيت صورة له، وحين وجدتْها أمي معي قامت بتمزيقها!

أمي دائمًا متعبة وتغضب كثيرًا وتقول لي إن السبب والدي. ولا تستطيع أن تشتري لي ما أريد فلا يوجد معها ما يكفي من النقود. وحين تخرج من البيت أنا من يعتني بأخي الصغير، إنه صغير جدًا وأخاف أحيانًا أن أحمله لأن جسمه صغير كثيرًا، ولكنني أحيانًا أضطر لحمله خصوصًا حين تخرج والدتي من البيت وحين يبكي. لقد اعتدتُ على الاعتناء، به ولكن المشكلة هي حين أذهب مع أمي وأخي إلى مكان ما أسمه المحكمة، لا أدري ما هو ولكنه مكان كبير وبه درج طويل وغُرف كثيرة. تدخل أمي لغرفة كبيرة بها الكثير من الناس وتضع أخي على الكرسي الخشبي، يصرخ أخي لأن رأسه يؤلمه بسبب الكرسي الخشبي. أجلس بجواره وأضع يدي تحت رأسه كي لا يكون الكرسي قاسٍ عليه. يهدأ قليلاً ثم يعود للبكاء. تعود أمي باكية وتقول لي بأن أعتني به إلى أن تعود فتغيب من جديد بين الناس الكُثر في الغرفة وأسمعها تصرخ وتقول: أريد أن أحصل على النقود اليوم، لا أستطيع أن أعود، أسكن بعيدًا من هنا...

ثم تعود غاضبة وتطلب مني أن أضع الرضاعة بفم أخي كي يشرب الحليب ويصمت. ولكنه يعود سريعًا للبكاء، ثم تضعه أمي بحضنها وتبكي بصمت، ثم تنهض من جديد وأسمع صوتها تتحدث أو تصرخ من جديد.

أحيانًا كثيرة نعود في اليوم التالي وتتكرر نفس الأشياء. أخبرتني أمي أنها النقود التي يدفعها أبي لنا بنهاية كل شهر وأنها يجب أن تأتي للمحكمة كي تأخذها لأن والدي يرفض إحضارها للبيت، وهي بالكاد تكفي لمصروفنا.

حتى حين تأخذ أمي النقود تبكي وهي خارجة من المحكمة وتدعي على أبي بالموت وبأشياء أخرى لا أفهمها، ولكنها أشياء سيئة.

في سيارة الأجرة، أحمل أخي الصغير بحضني وأضمه بقوة لصدري وألمس رأسه الناعم والصغير وأعلم بأنه يؤلمه بسبب الكرسي الخشبي وأبكي بصمت، أخبئ دموعي كي لا تراني أمي، ولكنها لم تلاحظ أبدًا أنني أبكي؛ ليس لأنني أتقن إخفاء دموعي ولكن لأنها لم تعد تستطيع أن تلاحظ أي شيء، فهي متعبة وحزينة ولا تتوقف عن الخروج والعودة للبيت للعمل، فكيف لها أن ترى دموعي الصغيرة؟

••••

( ٢٠ )

الأبوة ليست دماء تسري في العروق فقط

ولكنها أيضًا ميراث من الكرامة والحب والشرف

إن لم يستطع أن يقدمها الأب لابنه

فلينسحب كي لا يمنحه ميراث الخجل والعار

---

أنا طفل... أحب أبي فقط في النهار، وحين يأتي الليل لا أحب أن أراه، لا أدري كيف سأشرح السبب، ولكنها تلك الزجاجات غريبة الشكل وبشعة الرائحة التي تملأ الخزانة الفضية التي يسميها "بار". في بيوت أصدقائي لا توجد هذه الخزانة الفضية والتي يعشقها والدي.

حين يدخل للبيت في المساء، يتعشى ثم يجلس على نفس الكنبة كل ليلة أمام التلفاز، يتحدث معي قليلاً، ثم يطلب من والدتي أن تحضر إحدى تلك الزجاجات. يشرب بهدوء، وبعد فترة يصبح عصبيًا ويصرخ بوجه والدتي ويتحول لون وجهه إلى اللون الأحمر

الغامق، وتصبح عيناه أيضًا حمراوتين، ثم يبدأ بالحديث معي بشكل غريب ومتقطع، ثم يتوقف عن الحديث معي وأعرف ساعتئذٍ أنني لابد أن أغادر المكان لأنه لم يعد يشعر بوجودي، ولأن وجهه يتغير وأكاد لا أعرفه فبمجرد أن يبدأ بشرب ما في تلك الزجاجات حتى أختفي عن ناظريه كي لا أراه، وكي لا أرى أمي تبكي بصمت في المطبخ.

سألت أمي عدة مرات لماذا تبكي، ولم ترد، ولكنها قالت لي بعد أن ألححت بالسؤال بأن ما يشربه والدي حرام.

بدأت تلك الزجاجات تثير فضولي، فلماذا يشربها أبي رغم أنها حرام، لابد أنه يوجد بها شيء يحبه والدي... انتظرت إلى أن يخرج والداي من البيت لأكتشف سر حب والدي لها. فتحت إحدى الزجاجات، لقد كانت رائحتها كريهة وتعجبت كيف لوالدي أن يشرب شيئًا بهذه الرائحة الفظيعة، ثم شربت جرعة من الزجاجة فكانت صدمتي الكبيرة، طعمها أبشع من رائحتها وشعرت أن فمي يحترق. أعدت الزجاجة لمكانها.

ولأول مرة اشعر أن والدي إنسان آخر غير والدي الذي أحبه في النهار لأنه يشرب هذا الشيء البشع، ولأنه يجعل أمي تبكي بكل ليلة بسبب هذه الزجاجات غريبة الشكل... فقررت أن يكون أبي في النهار، ولا أريده أن يكون أبي في الليل.

• • • •

## ( ٢١ )

الأمور الخطيرة تبدأ بأمور صغيرة ؛ بمشاعر ضئيلة

ولكنها تتراكم لتصبح جبالاً لا نقدر على زحزحتها

وخلف الجبال تطل أخطاؤنا وإهمالنا،

نتجاهلها... ولكنها تقف لنا بالمرصاد

---

أنا طفل... ولكنني أتصرف مثل الكبار، أبي يدخن السجائر، وأنا أيضًا؛ ولكنه لا يراني. وأمي مشغولة بأشياء أخرى فلا وقت لديها لأن تفتش ملابسي أو أن تشم رائحة فمي، فصديقاتها وحفلاتها لا تنتهي، وحين عرفت الخادمة بأنني أدخن وهددتني أن تخبر والدتي، فهددتها أن أخبر والدتي بأنها تخرج لرؤية رجل غريب على زاوية الطريق حين خروج أمي؛ فصمتت.

وحيث أنني أتصرف مثل الكبار، فقد وجدت مقهىً كبيرًا به أولاد بمثل سني يدخنون الأرجيلة، فأبي يدخن الأرجيلة أيضًا. في كل أسبوع أذهب لأدخن أرجيلتي. المشكلة هي أنه يوجد شاب ما أعطاني حبة صغيرة بيضاء اللون، وقال لي بأنها سوف تجعلني أشعر بأنني كبير مثل أي رجل، وهو ما حصل فعلاً، وفي اليوم التالي أعطاني أيضًا تلك الحبة الرائعة... لكنني وبعد ذلك اليوم بدأت أبحث عنه كي آخذ الحبة البيضاء الصغيرة، ولكنه بهذه المرة طلب مني ثمنها. يوجد معي دائمًا نقود وأشتريها دائمًا، المشكلة هي أنني لم أعد أشعر بأنني صغير ولا كبير، وأرى كل شيء مشوشًا حولي، حتى والدتي ووالدي.

لا أستطيع التوقف عن تناول تلك الحبة الصغيرة، ولا أستطيع أن أخبر أمي وأبي، وكذلك لا أستطيع أن أعود لأكون كما كنت في السابق، فأنا متعب من التفكير بأي شيء.

المدرسة أخبرت أمي بأنني تراجعت بدروسي، فصرخت بوجهي، ثم خرجت مسرعة لمقابلة صديقاتها. وفي قلبي تمنيت لو أنها تصرخ وتغضب بل وتضربني إلى أن أعترف لها، ولكنها لم تعد موجودة أمامي... فعدت لأتصل بذلك الشاب كي يحضر لي المزيد من تلك الحبوب التي تجعلني لا أرى شيئًا ولا أفكر بشيء.

• • • •

( ٢٢ )

انسحاب الأم من أمومتها بسبب خطأ زوجها

يعني أن يدفع طفلها ثمن ذلك الخطأ

أنا طفل... كان لي بيت، وإخوة وألعاب أحبها كثيرًا وأشياء كثيرة، كنا جميعًا سعداء مع أمي وأبي، ولكن أبي سجَّل البيت باسم أمي، وحين طلب منها أن تعيد له البيت وتسجله باسمه؛ رفضت أمي وأمتلأ البيت بالصراخ. خفت كثيرًا أنا وإخوتي واختبأنا في غرفتنا بصمت إلى أن ينتهي الصراخ.

اعتقدنا أن الصراخ سوف ينتهي، ولكنه استمر لأيام وأيام، أبي يطلب من أمي أن تعيد له البيت، وأمي تقول له أنها لن تكتبه باسمه...

وقف أبي وسط الصالون الكبير وقال لأمي بأنها طالق.

لم تبكي أمي ونظرت لنا دون أن تقول شيئًا.

في المساء جمعت أمي أغراضنا في حقيبة كبيرة وطلبت منا أن نحضر حقائبنا المدرسية. سألناها: إلى أين سنذهب، لم ترد، لكن وجهها كان باردً وجامدً وكأنها ليست أمنا التي نعرفها.

ركبنا في السيارة بصمت، وحين وصلنا لبيت جدي قالت لنا بغضب: الآن انزلوا واذهبوا لوالدكم كي يربيكم، لقد طلقني ولست مضطرة لأن أربي أولاده.

فقلت لها باكيًا: ولكن أنتِ أمنا حتى ولو طلقك والدي.

لم تنتظر لنا، وصرخت قائلة: هيا انزلوا.

نزلنا ونحن نبكي. وحين دخلنا لبيت جدي نظرت لنا جدتنا بذهول وهي تنظر لحقائبنا، ضمتنا بصمت وطلبت منا الذهاب لغرفة الضيوف.

أيام مرَّت ونحن ننتظر أن تتصل أمي أو تأتي لأخذنا، ولكنها اختفت من حياتنا.

بعد أسابيع سمعت جدتي تقول لأبي: اسمع يا بُني، انا امرأة عجوز ولا أستطيع الاعتناء بأولادك رغم حبي لهم، لابد أن تجد حلاً ما.

صمت والدي، وخلال أيام انتقلنا معه لبيت صغير، وبدأ أبي يعتني بنا وبتدريسنا.

جدتي تأتي من حين لآخر لتطبخ لنا؛ أبي متعب ولا وقت لديه لأي شيء عدا عمله ونحن، ولكنه لا يصرخ ولا يتحدث عن والدتي بل يبقى صامتًا ومبتسمًا.

ورغم كل ما حدث، فيوجد شيء واحد جيد وهو أنني أحب أبي أكثر من أي شيء في هذه الدنيا، أبي الحنون والصامت.

• • • •

( ٢٣ )

شيءٌ ما في روح الطفل يُخبره إن كنا نهتم به أم لا

حتى ولو وفرنا له كل المتع وكل الألعاب،

شيءٌ ما يُشبه الهمس يقول له: إنهم لا يحبونك بما يكفي

يلعب بكل الألعاب ولكن قلبه يراقب من يحب

وحين لا يهتم به من يحب،

يتعلق بأشياء أخرى؛ حتى ولو كانت مُدمِّرة

ليملأ الفراغ الذي تركه الحب المهجور

---

أنا طفل... أحب الألعاب الإلكترونية، وأحب الكمبيوتر أيضًا، وحين ألعب لا أشعر بمرور الوقت، حتى حين أكتب واجباتي أفكر بألعابي التي تنتظرني، وأنتظر بفارغ الصبر عودتي للمنزل من المدرسة كي أتابع ألعابي المفضلة.

في يومٍ ما، حدث شيء غريب لم أفهمه، أخبرتني الخادمة بأنني فقدت الوعي ووقعت على الأرض، وأخبرتني أمي بأنني لا يجب أن ألعب بعد الآن بتلك الألعاب لأنها سببت شيئًا ما في دماغي.

لا أعرف ما الذي ينتابني، ولكن أحيانًا أجد نفسي ممددًا على السرير أو على كنبة في البيت، وأشعر بالتعب وعدم القدرة على الحراك.

لم أكن أفهم ما الذي يحصل لي، ولماذا اصطحبتني أمي إلى طبيب يبدو وجهه جدي جدًا، قامت الممرضة هناك بوضع أسلاك كثيرة على رأسي وسمعتها تتحدث مع أمي عن الكهرباء التي في دماغي... لم أفهم ما هي تلك الكهرباء وأزعجني ذلك الانتظار الطويل إلى أن تضع الممرضة جميع الأسلاك في رأسي. وتلك الأسلاك تؤدي عملاً ما في رأسي وبالطبع لم أفهم لماذا يفعلون ذلك لي.

في الليل سمعت أمي تبكي وتقول لجدتي:

- أنا السبب، لقد تركته يلعب بتلك الألعاب فترات طويلة، مما أثر على الكهرباء في دماغه. لابد أن يتناول أدوية الصرع لفترة طويلة، لا أدري كيف سأخبر والده، فهو مسافر منذ سنة ولا أستطيع أن أقول له بأنني السبب لإهمالي لابني.

سمعت بكاء أمي، وتسللت بهدوء لغرفة المكتب وفتحت الكمبيوتر لأعرف ما هو هذا الصرع، فرأيت ما الذي يحصل لي، ثم ذهبت إلى الغرفة التي توجد بها أمي وسألتها بهدوء وبخوف:

- أمي هل يهتز جسدي مثل ذلك الطفل الذي رأيته على الإنترنت حين يأتي هذا الصرع لدماغي؟

لم تستطع أمي الرد وبدأت بالبكاء، سألتها من جديد:

- أمي.. هل أنتِ فعلاً السبب؟ لماذا؟

طلبت مني جدتي الجلوس بجوارها وقالت بصوتٍ خافت:

- أمك ليست السبب ولكنك كنت تلعب لفترات طويلة بتلك الألعاب الالكترونية وهذا أثر على دماغك.

نظرت إليها باستغراب وأجبت:

- أجل، ولكن أمي لم تقل لي ولو لمرة واحدة بأنني لا يجب أن العب لوقت طويل، فهي دائمًا في عملها وأنا ألعب في البيت بغيابها، كان يجب أن تخبرني أليست هي أمي ومسؤولة عني؟

لم ترد جدتي ونظرت بصمت لوالدتي التي غرقت من جديد بالبكاء. نظرتُ لأمي قائلاً:

- هل سوف يهتز جسدي دائمًا بهذه الصورة؟

نظرت لي أمي من خلال دموعها ولم ترد، وفهمت بأنها لا تعرف.

عادت صورة ذلك الطفل على الانترنت لتملأ أفكاري، شعرت برغبة بالبكاء لأنني لن ألعب بالألعاب التي أحبها، ولأنني أصبحت طفلاً آخر غير ذلك الذي كان سعيد بألعابه، ولابد أن أخاف في كل لحظة من أن يهتز جسدي وأقع بعنف أمام الآخرين أو حتى حين أكون وحدي.

ربما لو كانت أمي تحبني حقًا لما تركتني طوال تلك الساعات مع ألعابي التي شوَّهت حياتي!

• • • •

( ٢٤ )

أروع ما في الطفولة هو

أن الله شيء حقيقي يراه الطفل رؤيا العين

لذا يعيش كل طفولته بأمان مع حقيقة الوجود الإلهي

رغم كل الألم والمعاناة

فيتحدث إلى ربه، يشكره، يبث شكواه له

دون خجل وبصوتٍ مرتفع

لأنه يشعر بأنه موجود بقلبه مثلما هو موجود في الكون من حوله

---

أنا طفل... كان عندي أم أحبها وأنام بحضنها متى أشاء، ولكنني عدت من المدرسة في يومٍ ما ولم أجدها، سألت والدي عنها فقال لي إنها ذهبت عند أهلها وسوف تعود بعد أيام. طلبت منه أن أذهب لرؤيتها ولكنه قال لي بأنها لا تريد أن يزورها أحد لبضعة أيام، فبكيت لأنني لم أفهم كيف لأمي ألا ترغب برؤيتي أنا وأخوتي.

بعد أيام، أخبرنا والدي بأننا سوف نذهب للعيش في بيت جدتي، بكيتُ مرة أخرى، ولكنه بهذه المرة لم يسألني عن سبب بكائي.

اعتقدتُ بأننا سنبقى ببيت جدتي لعدة أيام، ولكننا بقينا لشهورٍ طويلة، ثم أخبرنا والدي بأننا يمكن أن نزور أمي... حين رأيتُ أمي ركضت لحضنها الدافئ وشعرت بدموعها تبلل وجهي، سألتها باكيًا:

ـ لماذا لم ترغبي أن نزورك؟

فقالت دون أن تتوقف عن البكاء:

- إنه والدك الذي لم يرغب بأن تأتوا لزيارتي.

حين انتهت الزيارة وقفت أمامها باكيًا من جديد:

- أريد أن أبقى معك، لا أريد أن أعود لبيت جدتي!

لم تستطيع أن ترد، وأمسك أخي الكبير بيدي ليقودني نحو باب المنزل حيث ينتظرنا والدي.

نظرتُ إلى والدي وقلت له بأنني أريد أن أبقى مع أمي...

فقال لي دون أن ينظر لي:

- بيتك الآن هو بيت جدتك وسوف تعتاد على الحياة هناك، وستزور والدتك من وقت لآخر.

صرختُ باكيًا:

- لا أريد أن أعتاد، أريد أن أنام بجوار أمي في الليل، أشتاق لها.

رد بهدوء:

- يمكنك أن تنام بجوار جدتك.

توقفت عن البكاء وقلت له:

- جدتي ليست أمي، ولن تكون أمي.

لا أذهب للنوم بجوار جدتي، ولكنني أستيقظ في الليل أبكي بصمت وأطلب من الله تعالى أن يُعيد لي أمي، فأمي أخبرتني بأن أطلب أي شيء وكل شيء من الله الذي يرى بكائي ويسمع دعائي.

• • • •

( ٢٥ )

حين تزول المناصب والمراكز؛

لا يتبقى سوى ذكرى دافئة صادقة تسكن الروح

وإن انعدمت هذه الذكرى فلن يتبقى سوى

برودة ذكرى المناصب ونفاق أصحاب المراكز

أما ذلك الطفل الذي كان يستجدي الحب،

فيصبح رجلاًً لم يعد يستجدي الحب

ولكن أصبح هو من يمكنه منح الحب

وقد يمنحه وقد لا يمنحه

---

أنا طفل... أحب بيتي، ليس لأنه بيتي فقط ولكن لأنه دافئ، فأنا أخرج كل يوم مبكرًا مع والدتي وأخي الصغير إلى الروضة التي تتركنا بها أمي لتذهب لعملها.

أكره الروضة وأكره كل شيء في الشتاء حين يكون البرد قارسًا وأترك البيت الدافئ مع أخي لنذهب إلى الروضة مع أمي، هناك حيث الكثير من الأطفال الغرباء وحيث أضجر من الألعاب والوقت الطويل الذي يمر بانتظار أمي، أما أخي فيبقى مع الأطفال الصغار الذين تُرضعهم المربية وتغيِّر ملابسهم، وحين يبكي تحمله قليلاً ثم تضعه في سريره إلى أن يتوقف عن البكاء وينام.

لم أكن أعرف ما هو عمل أمي، ولكن مديرة الروضة أخبرتني أن أمي مسؤولة كبيرة في أحد البنوك. مرة واحدة ذهبت معها للبنك حيث تعمل ورأيت مكتبها الكبير، ورأيت الموظفين يقولون لها حاضر بأدب وخوف.

ولكنني لا أرى أن أمي مسؤولة كبيرة، لأنها تتركنا أنا وأخي في هذا المكان الذي لا أحبه، وتذهب هناك في مكتبها الكبير، كنت أرغب لو أن أمي ليست مسؤولة كبيرة، بل فقط أمي التي أجلس بجانبها في الصباح البارد في بيتنا الدافئ وألعب معها متى أشاء، وأن أرى أخي ينام في سريره الجميل كل يوم، وحين يبكي تحضنه أمي وتُرضعه إلى أن يهدأ وينام.

أسمع أبي يقول لأمي بأن تتوقف عن العمل وتبقى في البيت وتهتم بنا، ولكنها تقول له بأن لها مركز لن تتخلى عنه. لا أدري ماذا تقصد بكلمة مركز، لكنني أعرف بأنني أكره الصباح البارد حين أخرج من بيتي الدافئ وأحزن لأجل أخي الصغير. لا أفهم كل ما يقوله أمي وأبي ولكني أفهم بأنني لا أحب ذلك المركز الذي تتحدث عنه أمي.

أحيانًا في الروضة أختبئ وأبكي لأجل أخي الصغير لأنه يبكي كثيرًا في الروضة وأشعر بأنه أكثر حزنًا مني ولكنه لا يستطيع أن يتكلم، ربما حين يستطيع أن يتكلم نستطيع أنا وهو أن نقول لأمي بأننا لا نريد أن نغادر بيتنا ويمكنها هي أن تذهب لذلك المركز وأن تتركنا هنا معًا بعيدًا عن أولئك الغرباء في تلك الروضة الكبيرة.

••••

( ٢٦ )

نعتقد بأننا نصوب الأشياء بالعنف

ولكننا بالحقيقة نجعلها مستحيلة العلاج

والأسوأ هو أننا بقتل إنسانية الآخر نسحق إنسانيتنا

---

أنا طفل... ولا أريد أن أكون طفلاً، أريد أن أكبر بسرعة كي أضرب والدي مثلما يضرب أمي، أريد أن أرى الدماء تسيل من فمه وتصبح عينه زرقاء أو حمراء اللون.

إنها أمي، أحبها كثيرًا، وحين يضربها أبي أندفع نحوه محاولاً إبعاده عنها، ولكنه يمسك بي ويسحيني إلى أي زاوية في البيت يضربني ثم يتابع ضرب أمي... أصرخ وأبكي دون أن يهتم بي.

في إحدى المرات ركضت نحو الباب كي أنادي الجيران، لكنه أمسك بي وضربني، ثم حبسني في غرفتي.

لم أعد أدافع عن أمي فأنا أعرف بأنني لن أستطيع مساعدتها، أجلس في غرفتي بصمت أستمع لصراخها وبكائها، وحين يتوقف الصراخ أفتح باب غرفتي بهدوء وأذهب إلى أمي أحضنها وأبكي.

سألت والدي بخوفٍ شديد: أبي، لماذا تضرب أمي؟

أجابني دون أن ينظر لي: لأن الأمور يتم حلها بسهولة مع الضرب، وإذا سألتني هذا السؤال مرة أخرى أنت تعلم ماذا سيحدث لك.

نسيت خوفي وسألته فجأة: هل تحب أمي وهل تحبني؟

نظر لي نظرة خاطفة وعاد لمتابعة مشاهدة التلفاز وأجاب: أجل.

قلت له: ولماذا تضربنا إذًا؟

رفع يده يريد صفعي، فهربت من أمامه، ولحق بي إلى غرفتي. ولأول مرة لم أشعر بالخوف، وقفت أمامه وقلت له: أنت لا تحب أحدًا، ولكن لا تضرب أمي واضربني.

لم يرد وخرج بصمت من غرفتي.

ذهبت لأمي وسألتها: أمي لماذا لا تهربين من هذا البيت؟

فقالت بحزن: لا يوجد لدي مكان آخر أذهب إليه، فأهلي يعيشون في بلد بعيد ولا أستطيع السفر إليهم، كما وأنني لا أستطيع أن أتركك مع والدك أخاف عليك، أنتظر أن تكبر ثم نرحل معًا.

نظرت إليها بهدوء قائلاً: أمي قد تموتين قبل أن أكبر بسبب ضرب والدي!

بكت من جديد، فضممتها لصدري.

في كل ليلة أضرب والدي ضربًا مبرحًا بأفكاري، وأحيانًا أفكر أن أقتله وينتهي كل هذا الضرب وكل هذا الصراخ. وحين أفكر بقتله أخاف من أفكاري، وأقول لربي: هل أنا شرير يا الله؟ وأبكي ليس لأنني شرير ولكن لأن ألم أمي يجعلني أريد أن أدمر كل ما حولي.

• • • •

## ( ٢٧ )

الإدمان لا يميز بين طفل وبالغ

فجسد الإنسان مجموعة تفاعلات كيميائية واحدة

ولكننا نحن من يجب أن نميز أي حياة نحيا

وأي حياة نقدم لأطفالنا

---

أنا طفل... حياتي جميلة إلى أن... إلى أن زرتُ صديقًا لي، أحضر كأسًا به سائل لونه أحمر وطلب مني أن أتذوقه. شربت قليلاً ثم ركضت باتجاه الحمام لأبصق كل ما في فمي، لقد كان طعمه مُرًا ولاسعًا. غضبت من صديقي ولكنه ابتسم وقال لي: أول مرة سوف تشعر بهذا، ثم حين تعتاد عليه لن تستغني عنه، هذا نبيذ أحمر فاخر، هيا اشرب قليلاً وسوف تشعر باسترخاء وسعادة... ترددت في البداية، ثم تناولت الكاس كي أجرب ما أخبرني به، وبعد دقائق شعرت بذلك الخدر الناعم يتسلل لجسدي، واستلقيت على الأريكة بارتياح.

منذ تلك الزيارة أشرب النبيذ مع صديقي في كل مرة أزوره بها. بل أصبحت أطلب منه الحضور لبيته لنشرب معًا. وحين سألته كيف لا يلاحظ أبوه اختفاء النبيذ، أجابني بأن والده لديه الكثير من الأصدقاء الذين يشربون النبيذ ولن يلاحظ أبدًا.

أكون سعيدًا حين أشرب النبيذ، وأريد دائمًا أن أشربه، لكن المشكلة هي أنني لم أعد أهتم بدروسي، المدرسة ترسل لوالدتي الملاحظات حول تقصيري الدراسي وعدم تركيزي وأنني تغيرت كثيرًا، يغضب أهلي ويخبرونني بأنهم مصدومين للتغيير الذي طرأ علي، فأصمت لأنني لا أفكر سوى في موعدي القادم مع صديقي، لا أفكر سوي بكأس من النبيذ الفاخر. إن أخبرتهم سوف يمنعونني من زيارة صديقي، وإن صمتُ سوف يستمر غضبهم لأنني لم أعد أستطيع التركيز في الدراسة.

أحبهما ولا أريد أن يغضبا مني، ولكنني أحب ذلك الكأس أكثر منهما ومن أي شيء آخر.

• • • •

## ( ٢٨ )

أسهل أنواع العطاء: العطاء المادي

وأصعبه: عطاء الروح والنفس

والروح لا تستكين إلا بالحب

حتى ولو لبس الجسد أفخر الثياب وأكل أشهى أنواع الطعام

---

أنا طفل... لدي أم وأب، ولكنني لا أراهما، أُمضي كل وقتي مع الخادمة، وحين يأتي المساء تحضر أمي متعبة وبالكاد تتحدث معي، وفي الصباح تلبي الخادمة كل طلباتي.

فقط يوم في الأسبوع أستطيع به أن أكون مع أمي وأبي، يتحدثان أمامي عن أعمالهما ومشاغلهما، ويسألانني عن المدرسة وإن كنت أحتاج لشيء ما، أخبرهما بما أريد، لكنني لا أخبرهما بما أحتاج له أكثر من أي شيءٍ آخر، لأنني أعرف بأنهما لن يلبيا طلبي هذا... ما أحتاجه هو أن يكونا في البيت معي من حين لآخر، ليس كل يوم، بل بعض الأيام فهذا يكفيني، ولكنني أصمت لأنني أعرف بأنهما لن يستجيبوا لي.

إلى أن تجرأت يومًا ما وقلت لهما ما أفكر به، نظرا لبعضهما البعض، وقالت لي والدتي وهي تبتسم وتقترب مني لتقبلني:

ـ كنت أعتقد أنك كبرت وأصبح عندك مسؤولية، أم أنك تريد أن تعود لتكون صغيرًا من جديد، أنت تعلم أنني ووالدك نعمل كثيرًا لأجل مستقبلك وتأمين احتياجاتك..

وقبل أن تتابع كلامها، جعلتُ كأس الماء يقع من يدي كي تتوقف عن الحديث ويتناثر الزجاج على أرض المطعم.

نادت النادل، وتوقفنا عن الحديث، ولكنني وفي أفكاري، أقسمت بأنه عندما أكبر ويكون عندي ولد لن أتركه في البيت وحيدًا لساعات ولأيام، وسوف أطلب من زوجتي ألا تعمل وأن تبقى مع ابني طوال الوقت... حين أكبر سوف أعطي أمي وأبي كل ما يريدان من الأشياء والمال مثلما أعطياني كل الأشياء التي أريد، ولكنني سأتركهما في البيت وحيدين مثلما تركاني وحيدًا، وسأقول لهما بأنني مشغول طوال الوقت لتأمين ما يحتاجان إليه.

• • • •

# ( ٢٩ )

الكرامة ليست درس يُدرس ، ولكنها روح

لا يستطيع صاحبها أن يحيا دون خُلق رفيع ونفس عزيزة

---

أنا طفل... لدي كل ما أريد، ولكنني لا أريد كل ما لدي، لأن كل ما يشتريه والدي لي هو من تسول أمي في الشوارع!

تبكي أمي كل يوم وتقول له إنها لم تعد تريد أن تتسول، ولكنه يهددها بالطلاق وأنه سيرميها في الشارع ويحرمها من أولادها، فتذهب لغرفتها لدقائق وتعود مرتدية ملابسها السوداء القديمة والقذرة وتضع نقابًا أسود على وجهها، وتخرج من البيت.

أرى بعض النساء يتسولن من حين لآخر وأتساءل أي منهن أمي ولكنني لا أحاول البحث عنها، فحتى لو عرفت أيًّا منهن أمي لن أتحدث معها وسوف أتجنب الذهاب إليها.

حين تعود أمي في المساء، تفوح منها رائحة العرق ولا ترغب بالحديث مع أحد منا. تدخل لغرفتها، تمكث وقتًا طويلاً في الحمام ثم تخرج بصمت، تحضِّر الطعام وتأكل معنا ودون شهية، وبعد قليل من الوقت تعود لطبيعتها؛ أو تحاول أن تكون طبيعية، تتحدث معنا وتمزح.

سألتها ذات يوم:

- لماذا تبقين وقتًا طويلاً بالحمام؟

فقالت لي بحزن:

- لأنني أبقى لساعاتٍ طويلة أسير في الشوارع، وأنتظر أن يعطيني أحدًا ما بعض النقود، العرق يتصبب مني وأشعر بالتعب، ولكنني لا أشعر بأن جسدي فقط القذر بل كل شيء بي يبدو قذرًا، حتى قلبي، لأنني أتسول رغم عدم حاجتي للتسول، لا أريد ان أتسول، ولكن والدك...

نصمت جميعًا، وحين يأتي والدي تعطيه أمي كل النقود التي جمعتها، وتذهب لغرفتها كأنها شبح فاقد للحياة.

أدرس في مدرسة جميع الطلاب بها من العائلات الغنية، وأنا مثلهم لدي كل شيء، ومعي دائمًا نقود تمامًا مثل الآخرين، ولكنني أشعر بأنني أقل منهم جميعًا، لا أحد منهم يعرف أن أمي تتسول، ولكنني أشعر بالضعف تجاههم، وأنهم ربما يرون أمي المتسولة في عيوني.

لقد أعطاني والدي كل ما أريد، ولكنه حين أخذ من أمي عزة نفسها؛ دمَّر كرامتي.

••••

( ٣٠ )

أخطر ما نفعله مع الطفل هو الاستخفاف بمشاعره

لأن مشاعره تتحول إلى نتائج تحصل على أرض الواقع

ونحن من يدفع ثمن كل النتائج

التي أساسها مشاعر... مجرد مشاعر

أنا طفل... تزوج أبي امرأة غير أمي، وأمي وفي كل يوم تبكي فراقنا وطلاقها من أبي. أخبرنا أبي أن هذه المرأة التي أصبحت زوجته سوف تكون مثل الأم بالنسبة لنا، وحين سألناه لماذا لا نعيش مع أمي ويعيش هو مع زوجته، أجابنا بأن أمي لا تصلح أن تكون زوجة وأنها لا تستطيع تربيتنا بشكل صحيح.

لكننا أنا وأخوتي كبرنا مع أمي وعشنا معها لسنوات، فلماذا أصبحت الآن لا تستطيع أن تربينا؟!

هذه المرأة التي تُسمى زوجة أبي تبدو لطيفة حين يكون أبي في البيت، وحين يخرج من البيت تبقى لطيفة ولكن بطريقة مختلفة، تُصدر أوامرها والابتسامة لا تفارق وجهها، تغضب والابتسامة لا تفارق وجهها، تبدو جافة ولا مبالية بنا والابتسامة أيضًا لا تفارق وجهها.

لقد اختارها والدي لأنها حسب تعبيره تحسن تدبير أمور البيت، وهذا صحيح، ولكنها ليست أمي، وغريبة عني وعن إخوتي، ومهما فعلت تبدو كأنها تجيد التمثيل أمام أبي، فهي لا يهمها أمر أي منا... نعيش معها ولكننا غرباء عنها، كما أنها غريبة عنا؛ البيت الذي كان دافئًا بحضور أمي يبدو باردًا وجافًا وكأنه بيت جليدي، وأنا كل ما أفكر به أنني حين أكبر لن أعود لهذا البيت، ولا أريد أن أرى هذه المرأة الغريبة، ولا حتى أبي الذي حرمني من حنان أمي.

ربما أمي ليست المرأة المثالية التي أرادها أبي، لكنني في حضنها أنسى الخوف والقلق ويتلاشى البرد، فهي أمي؛ حتى ولو كانت بلهاء بنظر أبي، فهي أمي وهي الدفء في حياتي.

• • • •

( ٣١ )

الأمومة ليست علاقة مقدسة بحكم الطبيعة فقط

بل أيضًا بحكم حرص الأم

على كرامة وشعور وتفكير أولادها

وحين تتخلى الأم عن قدسية هذه العلاقة

لا تكون الأمومة سوى رابط مهترئ

أول من يمزقه دون صعوبة هم الأبناء

---

أنا طفل... أمي تعمل، تعمل كثيرًا، ولكن عملها هذا يجعلني أريد أن أختفي من هذه الحياة.

أمي تعمل راقصة، يستهزأ بي أولاد الجيران ويقولون لي بأنها لا تعمل راقصة فقط، بل تفعل أشياء أخرى. حين يتحدثون عن أمي أرغب بضربهم، ولكنهم أقوى مني، وأعرف أن ما يقولونه صحيح، فأدير ظهري وأختفي في بيتي.

أحيانًا تعود أمي سكرانة إلى البيت، حين كنت أصغر بالسن لم أكن أفهم ماذا يعني سكرانة، والآن أعرف بأنها تشرب الخمر في مكانٍ ما به كثير من الرجال وترقص، وتعود عند ساعات الفجر وبالكاد تستطيع أن تمشي.

سألتها ذات مرة لماذا تشتغل راقصة، فقالت دون أن تنظر لي كأنني لستُ موجودًا: لأنني يجب أن أصرف على البيت وعلى إخوتك. ثم تجرأت مرة أخرى وطلبت منها أن تتوقف عن هذا العمل لأن أولاد الجيران يعايرونني بها. فغضبت وضربتني.

رغم كل شيء هي أمي وأحبها، ولكن حين بدأ رجال غرباء يأتون للبيت بساعات متأخرة ويدخلون غرفة نومها عرفت بأنني لست موجودًا في حياتها... تسللت يومًا ما خلف نافذة غرفتها ورأيت كل شيء، المرأة التي كانت مع ذلك الرجل لم تكن أمي.

وفي اليوم التالي خرجت من البيت ولم أعود وتركت المدرسة.

الآن أعيش في الشوارع، أتسول، أضرب، أسرق، وقد أقتل، لكنني لا أريد أن أكون ابن تلك المرأة التي تُسمى أمي.

• • • •

( ٣٢ )

أجل، الأطفال أرواح لطيفة تحيا بيننا

تفهم الألم وتشعر به وقد تتخذ قرارات نعتقد أنها للبالغين فقط

لذلك لابد أن نحذر حين يتألم طفلٌ

وألا نعتقد أن طفولته تمنعه من اتخاذ قرار مأساوي

---

أنا طفل... أعيش أنا وأخي، وأبي لا يعيش معنا، وأمي تعيش مع زوجها بعد أن طلقها أبي.

أبي يعيش في بيته قريبًا من بيت جدي وجدتي حيث أعيش أنا وأخي، ولكننا لا نراه كثيرًا، وحين نراه لا يكون بكامل وعيه؛ أي سكران وبالكاد يستطيع أن يتحدث معنا، وحين يتحدث يقول لنا بأن نذهب لجدتي أو جدي أو أن نزور أمي.

وحين نزور أمي نشعر بأنها تتضايق، ثم تقول لنا بأن نذهب لرؤية والدي، وحين نقول لها بأنه سكران دائمًا تقول بأن هذا لا يعنيها الآن وأنها متزوجة برجل آخر ولا تريد الحديث عنه.

نعيش مع جدي وجدتي، ولكن الخادمة هي التي تهتم بأمورنا. المشكلة أننا حين نريد أي مساعدة في الدراسة لا نجد أحدًا ليساعدنا، والمُدرس الذي يأتي لإعطائنا الدروس الخصوصية يبدو أكثر استعجالاً منا لإنهاء الدروس لأنه لا يوجد من يراقبه أو يتابع دروسنا.

في كل عام يدفع والدي مبلغًا كبيرًا للمدرسة لكي يتم ترفيعنا لصف آخر، ولكننا في الحقيقة لا نستطيع أن ننجح.

كان يمكن لي أن أستمر بهذه الحياة لأنه لدي كل ما أريد، ولكن المشكلة تكمن بأخي؛ لقد أخبرني ذات يوم بأنه يفكر بالانتحار، فقلت له بأنه مجنون، واعتقدت بأنه يمزح أو أنه غاضب. سألته لماذا يفكر بالانتحار، ولا أنسى إجابته، قال لي دون أن ينظر لوجهي:

- لأن أبي وأمي لا يريدوننا في هذه الحياة، وجدي وجدتي كبار بالسن ولا يهتمون لأمرنا، أنت وأنا مكاننا ليس هنا.

هززت رأسي وشعرت بالحزن، ولكنني لم أفكر بأنه قد ينفذ ما يفكر به.

في يومٍ بارد، عدت من المدرسة، وكان يوجد الكثير من الأشخاص في البيت، وسيارات الشرطة، شعرت بأنه أخي، ولكنني قلت لنفسي بأنني قد أكون مخطئًا؛ ولكن جدتي كانت تبكي، وأبي كان يجلس صامتًا ولأول مرة لم يكن سكرانًا، وأمي لم تكن موجودة.

إنه أخي، لقد انتحر، قتل نفسه بمسدس جدي...

الآن والدي يريدني أن أعيش معه، توقف عن شرب الخمر لأن القاضي أمره بذلك، ولكنه في عالم آخر ولا يوجد أي حديث بيني وبينه بل ربما أكون عبئًا عليه، وأشعر برغبته القوية للعودة لشرب الخمر وأدرك بأنه سوف يعود لها قريبًا.

أما أمي فلم أعد أريد أن أراها بعد موت أخي، ولا يهمني أين سأعيش لأنني أينما ذهبت سوف أحمل معي ذكرى انتحار أخي.

لا لم ينتحر، بل ذكرى قتل أخي، لأنهم جميعًا قتلوه حين أخبروه دون كلمات بأن وجوده ووجودي غير مرغوب به.

والآن لا أعرف كيف سأعيش دون أخي؛ الإنسان الوحيد الذي كان يرغب بوجودي معه.

• • • •

( ٣٣ )

هناك جرائم غير مكتوبة بها ضمن نصوص القانون

ولكن الله وحده يعلمها ويعلم من يرتكبها

وهو فقط من يعاقب عليها ويكون عقابه عقاب عزيزٍ مقتدر

---

أنا طفل... كان لدي حياة حلوة، أعيش مع أبي وأمي وأخوتي، ولكنني وفي يومٍ ما عدت للبيت لأجده فارغًا من كل الأثاث، لقد أخذت أمي كل أثاث البيت ورحلت، حتى أنها أخذت سريري وخزانتي. البيت أصبح فارغًا تمامًا، ووالدي يجلس على كرسي خشبي بإحدى زوايا البيت. نظر لي وقال: لقد أخذت أمك كل أثاث البيت، وتريدك أن تذهب لتعيش معها في بيت والدها، لا أستطيع أن أحرمك من أمك، هل ترغب بأن تعيش معها؟

وقفت في الصالة التي بدت ضخمة جدًا، وتذكرت بيت جدي البعيد والذي لا أحبه، نظرت إلى والدي الذي أحبه كثيرًا، ولم أعرف بماذا أرد، لأنني أحب أمي أيضًا.

أخبرني والدي بأن أمي طلبت الطلاق وأن إخوتي يريدون أن يعيشوا معها وأنه ترك الخيار لهم.

لم أستطيع الرد على والدي، فمنظر البيت الفارغ جعلني أفقد القدرة على النطق، وإذا أردت قول شيء ما أكتبه على الورقة.

لا أزال أتنقل بين بيت جدي وبيت أبي الفارغ وبيت أقاربي، ولا أزال لا أفهم لماذا رحلت أمي ولماذا لا تريد أبي! ولا أزال لا أريد ولا أستطيع أن أتكلم، فحتى لو استطعت أن أتكلم لن أقول مع من أفضل أن أعيش... فأنا أحب أمي وأحب أبي معًا وأريدهما معًا.

أحاول أن أتكلم ولكن الكلمات لا صوت لها، وحتى لو أصبح لها صوت فأنا أريد أن أكون صامتًا دائمًا، فأنا طفل ولا قيمة لما أقوله أو لما أشعر به وإلا لماذا اختفت أمي مع كل أثاث البيت وكأننا لا نحيا بهذا البيت حتى أنها أخذت سريري الصغير.

ربما حين أستطيع أن أفهم يمكنني أن أتكلم.

• • • •

## ( ٣٤ )

حين ندس الألم في زاوية بعيدة من النفس؛ لا نراه

ولكنه يبقى كطعنة سكين لا تندمل

وحين يصبح الألم لا يُطاق ينتقم الألم لنفسه

رُغمًا عن إرادتنا بإخماده

---

أنا طفل... لا أحب النوم، لا أحب الحديث مع الآخرين، لا أحب أي شيء... كنت أحب كل شيء قبل أن...

لا أدري كيف سأتحدث عما حدث، لأنني أشعر بالخوف والخجل والغضب، كلما تذكرت أرغب بأن أصرخ وأركض في الشارع، ولكني لابد أن أصمت كأن شيئًا ما لم يحدث، لأن والدي طلب مني أن أنسى... ولكنني لا أنسى.

إنه ذلك اليوم البشع، كنت أسير في الشارع كعادتي لأشتري الحلوى لي ولأختي، ولكن رجل ما اقترب وطلب مني أن أدله على عنوان لجيران لنا، وحين اقتربنا من بيت الجيران دفعني نحو زاوية من الطريق وأمسك بي بكل قوته ونزع ملابسي، صرخت بأعلى صوتي ولكنه وضع يده على فمي. لم أستطع أن أرى ما كان يفعل ولكنني شعرت بالألم في كل جسدي... وبعد دقائق من العذاب والألم تركني وركض هاربًا.

لبست ملابسي وأنا أبكي وشعرت بأن جسدي قذر وأنه لم يعد لي، وشعرت بألم شديد، ثم رأيت الدماء تملأ يدي.

ركضتُ باتجاه بيتي باكيًا، أخبرت أمي وأبي. صرخت أمي بأنه لابد من إخبار الشرطة، فغضب والدي وصرخ بوجهها قائلاً:

- هل تريدين لنا الفضيحة، اصمتي، سوف نذهب للطبيب ولا أريد أن يعرف أحد بما حصل... وأنت إن رأيت هذا الرجل مرة أخرى أركض إلى البيت لأنني أريد أن أقتله بيدي.

ذهبنا إلى الطبيب، وطلب مني من جديد أن أنزع ملابسي، فبكيت ورفضت، فأتت والدتي تهدئني وتقنعني أنه لابد أن يراني الطبيب، فقبلت بشرط أن تبقى أمي معي.

حين انتهى الطبيب من فحصي كان غاضبًا وطلب من والدي أن يذهب للشرطة كي يشكو ذلك الرجل، وأن الشرطة سوف تبحث عنه، ولكن والدي رفض من جديد، فطلب منه الطبيب أن يأخذني لطبيب نفسي، ولكنه غضب وقال للطبيب: ماذا؟ هل تريد أن يقول الناس بأن ابني مجنون؟!

أخذ وصفة الدواء الخاصة بي وخرج من العيادة.

عدنا للبيت وسمعت أمي تقول لأبي بأنه إذا لم يكن يريد الذهاب للشرطة فلابد من علاج نفسي لما حصل معي، ولكنه صرخ بوجهها قائلاً: أي علاج نفسي، سوف ينسى، لحسن الحظ أنه ليس بنت وإلا لكانت المشكلة أكبر... سوف ينسى وسوف أعثر على ذلك الرجل وأقتله بيدي، لا أريد الحديث بهذا الموضوع.

لم نتحدث عن هذا الموضوع، وكان لابد أن أنسى، ولكنني لا أنسى، مرت سنة ولا أنسى، وفي كل ليلة أرى ذلك الرجل وأرى جسدي يتألم والدماء تسيل منه، فأصرخ وأركض في كل الشوارع.

أستيقظ من نومي باكيًا، أريد أن أصرخ وأنادي أمي، ولكن لابد أن أنسى، فأخنق بكائي وصراخي في وسادتي.

كنت أشعر بالغضب والخوف وأنني قذر طوال الوقت، ولكنني الآن أشعر أيضًا بأنني لا أحب الناس ولا أحب نفسي ولا أحب أي شيء ولا حتى أبي ولا أمي... أرى كل ما في حياتي بصورة ذلك الوحش فأكره الحياة وأكره كل ما بها، وأنتظر لحظة انتقامي. لا أعرف إن كنت سأجد ذلك الرجل، ولا أعرف أيضًا كيف سأنتقم، ولكن أعرف بأنه سيكون هناك انتقام ما.

هدأ غضبي، ولكن الكره يسكن قلبي.

• • • •

( ٣٥ )

وطني حيث توجد أشيائي الصغيرة، ومدرستي القريبة

وطني أصدقائي في زاوية ما من الشارع أو على مقاعد الدراسة

هذا هو وطني ، ولا أعرف معنى آخر للوطن

---

أنا طفل... لدي العديد من الزملاء بسني، ولكن لا يوجد لي أي صديق، فأنا أسافر مع أمي وأبي في بلاد كثيرة. حين نسافر ننقل كل أغراضنا ونترك البيت الذي نعيش به في أي بلد نغادره. تنقلنا في عشرات البيوت، وتعرفت على عشرات الأولاد، ولكنني وفي كل مرة أسافر وأترك أصدقائي الذين أتعرف عليهم، ثم أتعرف على أولاد آخرين في بلادٍ أخرى.

كنت أحب هذا السفر ولكنني الآن أكرهه، ولا أريد أن أسافر من جديد، وفي كل مرة أخبر أبي بأنني لا أريد أن أسافر يخبرني بأنه يجب أن يسافر بسبب عمله وأنه لا يستطيع تركنا وحدنا أنا وأمي.

في النهاية لم أعد أطلب منه ذلك، لأنني أعرف بأنه لن يستجيب لي. ولكنني لم أعد أرغب بأن أتعرف على أي أصدقاء، أجلس وحيدًا في المدرسة لأنني أعرف بأنني سوف أغادر في نهاية العام أو العام الذي يليه، لذلك لا أهتم بأن يكون لي صديق، ففي كل الأحوال سوف أسافر وأنساه أو ينساني.

لا أشعر بأنه يوجد لي وطن، فأنا اسافر طوال الوقت، ووطني وأقاربي لا أراهم إلا كل بضع سنوات.

في إحدى المرات تحدث والدي عن شوقه لوطنه أمام ضيوف لنا، ونظر لي قائلاً:

- لابد أنك تشعر بهذا الشوق مثلي يا بني أليس كذلك؟

نظرت إليه وكأنني لا أرى أحدًا وقلت:

- لا، لا أشعر بأي شوق، ولا أعرف هذا الوطن.

نظر لي الضيوف باستغراب، ونظر لي والدي بغضب... وحين غادر الضيوف صرخ والدي بوجهي غاضبًا:

- كيف لك أن تقول مثل هذه الجملة! ماذا سيفكر الضيوف؟ أليس لك وطن؟

أجبته دون أن أنظر إليه:

- لا يوجد لي وطن، هل نسيت أنك تربيت في وطنك، أما أنا فتربيت في بلادٍ عدة، ولم أستقر أبدًا في وطني، لقد عشت كل حياتي أتنقل بين البلاد بسبب عملك، فلماذا أنت غاضب؟ لم أقصد التسبب بأي إساءة ولكن هذه هي الحقيقة، لا أشعر بأنه يوجد لي وطن، وذلك الوطن لا يعني لي أي شيء.

صمت والدي وذهب لغرفته، وبقيت أنا واقفًا وسط الصالة الكبيرة، لا أريد أن اتحرك من مكاني، لأنني أيضًا ولأول مرة أتفاجئ بأنني لا أشعر بأنه يوجد لي وطن ولا جذور.

••••

لكي أحبك لا يجب أن تكون ذكيًا ولا جميلاًً

يكفي فقط أن تكون موجودًا، دائمًا.. هنا... الآن ومعي

---

أنا طفل... لدي أخ، ولكنه لا يعيش معي في البيت، يعيش هناك في مكانٍ ما، ولا يجب أن أخبر أحدًا أين يعيش ولكنني فقط حين أكتب هذه الكلمات يمكنني أن أقول أين يعيش أخي...

أخي يعيش في دار للمعوقين، فهو منذ أن ولد عنده إعاقة في جسده وعقله، لا يستطيع أن يتكلم جيدًا، ولا يستطيع أن يتحرك بشكل طبيعي، وأطرافه تبدو ملتوية... لذلك قرر أبي وأمي أن يذهب أخي إلى دار للمعوقين.

بكيت كثيرًا حين أخذوه من المنزل، وفي كل ليلة أنظر للغرفة التي كان ينام بها وأشعر بأنه لم يغادر البيت، بل أنه قد مات لأنه لا يأتي أبدًا إلى هنا.

حين سألت أمي لماذا أخذوه هناك؟ ولماذا لا يستطيع أن يبقى معنا؟... قالت بأنها لا تستطيع العناية به، وأنه بحاجة لرعاية خاصة.

لكنني سمعتها تقول لأختها دون أن تلحظ وجودي، بأنها وضعت أخي هناك كي لا يعرف الناس بأنه يوجد لديها ابن معاق.

في تلك الليلة بكيت كثيرًا لأجل أخي، ولم أعد أشعر بالشوق له فقط، بل وبالحزن أيضًا، فأبي وأمي لا يريدانه، ويريدان أن يختفي من حياتهما.

منذ ذلك اليوم أصبحت أصر على أن أزور أخي في كل أسبوع، ولكن أمي رفضت وسمحت لي بزيارته مرة في الشهر... أجلس بجانبه في تلك الدار، كل شيء حوله مرتب ونظيف، ولكن أخي حزين ووحيد، ويعتني به أشخاص غرباء.

أمسك بيده وأحاول أن أخبئ دموعي، فهو أخي وأحبه، وكطفل صغير يضع رأسه على كتفي فأحضنه ويضحك بوجهي لسعادته بوجودي. أخي لا يستطيع أن يتكلم، ولكنه يشعر ويفهم بأنني أخوه، وحين يرى أمي لا يقترب منها مثلما يقترب مني.

في كل مرة أذهب بها لرؤيته أحضنه وأهمس بأذنه:

- في يومٍ ما حين أكبر، سوف آتي إلى هنا وآخذك لتعيش كل حياتك معي في بيتي.

فيبتسم ويلتصق بي كأنه متأكد بأنني سأفعل هذا يومًا ما.

ما يؤلمني ليس فقط بُعد أخي عني وحياته بين غرباء عنه، ولكن ما يؤلمني هو أنني أعرف بأن أخي رغم ما يقولون عنه بأنه من ذوي الاحتياجات الخاصة، إلا أنه يشعر ويفهم ولكنه لا يتكلم... فهل لو تحدث أخي عما يشعر به هل سأستطيع أن أحتمل ما قد يقوله؟ وهل ستستطيع أمي أن تعيش حياة طبيعية حين تسمع كلماته؟

أمي تعيش حياة طبيعية بعيدًا عن ابنها لأنه صامت ولا يبكي ولا يطلب شيئًا، ولكنني أنا فقط أرى دموعه وأسمع كلماته وأنتظر ذلك اليوم الذي أصطحبه معي إلى بيتي ولا نفترق عن بعضنا البعض أبدًا، وليعلم كل الناس بأن أخي معوق أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، فهو أخي وأحبه.

• • • •

## ( ٣٧ )

نرتكب أخطاء ونعتقد بأنها تمضي

ولكنها تبقى كنجوم لا تنير السماء المظلمة،

بل دليل النفس نحو الكره والحقد والجفاء

لأن الأخطاء لا تبقى أخطاء بل تتحول لطريق حياة

---

أنا طفل... في كل يوم أسمع صراخ أمي وأبي، أذهب لغرفتي وألعب بأشيائي إلى أن ينتهي الصراخ أو يخرج أبي من البيت، وحين يخرج؛ تبدأ أمي بالصراخ علي وعلى أخوتي.

أذهب لغرفتي فتلحق بي كي ترى ماذا أفعل، أتمنى أحيانًا لو أنه توجد لبيتنا حديقة كبيرة مثل بيت صديقي كي أختبئ من أمي ولا تراني، ولكننا نعيش في شقة في الطابق الخامس ولا أستطيع أن أختبئ. حاولت مرة أن أختبئ في الحمام وأغلقت الباب، ولكنها عرفت بأنني في الحمام وبدأت بالصراخ والضرب على الباب. انتابني خوفٌ شديد، ففتحت الباب. أمسكت بيدي بقوة وضربتي كثيرًا... ومنذ ذلك الوقت عرفت بأنه من الأفضل ألا أختبئ.

أبقى صامتًا في المدرسة لأنني أستمع طوال الوقت لصراخ أمي ثم لصراخ أبي كأنهما معي، حتى في المدرسة وحين تسألني المعلمة عن سبب عدم انتباهي أرغب بأن أقول لها بأنني أستمع لصوت صراخ أمي وأبي، ولكنني أصمت ولا أجيب؛ فتقول لأمي حين تأتي للمدرسة بأنني هادئ جدًا ولا أتكلم كثيرًا، وأنا أرغب أن أقول لها بأنني أخاف من أمي ومن أبي ومن كل شيء يتحرك من حولي.

في يومٍ ما عدت إلى البيت وسمعت صراخ أمي وأبي، دخلت إلى غرفتي ولكن الصراخ اشتد، وحين خرجت لأرى ماذا يحدث وجدت أمي تحمل السكين تريد أن تطعن أبي بها، ولكن أبي أمسك بيدها بقوة إلى أن ألقت السكين على الأرض ثم قام بضربها كثيرًا... هربت أمي منه وتركت المنزل. ثم عادت بعد قليل ومعها الشرطة.

ذهب أبي إلى الشرطة ولم يعد، وأتت أمي للبيت وأخذتنا إلى بيت جدي.

مرَّت أسابيع ولم أرَ والدي، وحين سألت أمي عنه، قالت لي بأنه في المكان الذي يجب أن يكون به.

سألتها أي مكان هذا؟

فقالت إنه في السجن لأنه ضربها.

نظرت إليها وقلت لها:

- ولكن أنت يا أمي من رفع السكين كي يضرب أبي!

فصفعتني على وجهي وطلبت مني أن أذهب لغرفتي.

لاحقًا أخبرتني جدتي بأن أبي لم يخبر الشرطة بأن أمي رفعت السكين لتضربه بها كي لا تذهب أمي للسجن، ولكن أمي طلبت من الشرطة أن يحبسوا أبي.

الآن، وفي الفصل لم أعد أسمع صراخ أمي وأبي، ولكنني أرى أبي في السجن، صورته لا تفارقني ولا أستطيع أن أفهم دروسي ولا أستمع لما تقوله المعلمة، لأنني لا أفكر إلا بأبي وأن أمي كذبت كي يدخل أبي إلى السجن.

قالت المعلمة لأمي بأنني لا انتبه للدروس وأبدو في عالم آخر، تنظر لي والدتي بغضب منتظره إجابة ما، طال انتظارها لإجابتي، وقررت أن أقول لها ما أشعر به حتى ولو ضربتني...

فقلت لها دون أن أنظر إليها:

- أجل أنا في عالم آخر، أنا في السجن مع والدي.

• • • •

( ٣٨ )

هناك بشر يتمتعون بموهبة القسوة،

موهبة لأنهم يمارسونها بعفوية وبسهولة

وهناك بشر لا يفهمون هذه القسوة لأنها ليست بفطرتهم

فلا يملكون سوى نظرة حزينة نحو الله الرحمن الرحيم

لأنهم ببساطة بحالة عجز

أما الله تعالى فهو من يُمهل ولا يُهمل

---

أنا طفل... لا يوجد لدي أخوة...

لا، بل يوجد لي أخ ولكنه لا يعيش معي، وضعته أمي في مدرسة داخلية ولم تخبرني لماذا. أذهب مع أمي لرؤيته من حين لآخر، وفي كل مرة أراه أنظر إليه كأنني أراه لأول مرة.

لا أدري لماذا يبدو أخي غريبًا عنا، وربما أكون أيضًا غريبًا عنه، حتى حين يأتي في الإجازات أشعر بأنه ليس في مكانه الصحيح وأن مكانه في المدرسة الداخلية، ليس لأنني لا أريده معي في البيت، ولكنني أبدأ باعتياد كل شيء من جديد بوجوده، فهو يحب ألعابًا لا أحبها، ويريد أن يذهب لأماكن لا أريد الذهاب لها، ويقول أشياء لا أهتم بها أو لا يهتم هو بما أقول... وبعد فترة نبدأ باللعب معًا وأعتاد على وجوده حتى ولو لم يحب ألعابي، ويأتي معي لأماكن لا يحبها ولكنه يأتي لأجلي.

تبدو أمي عصبية بوجوده، وأسمعها أحيانًا تقول لصديقاتها بأن فترة وجوده في البيت صعبة لأن نظام البيت يتغير، وأنها لا تملك الوقت الكافي للاعتناء به وبي.

كنت أعتقد أن أخي معتاد على حياته هذه، وأنه معتاد على وجوده في مدرسة داخلية، وأعتدت أنا أيضًا على التغيير الذي يحصل في البيت حين يحضر خلال إجازاته. ولكن حين انتهى الصيف وأتى موعد عودته للمدرسة في صباح اليوم التالي، سمعت بكاءه في الليل، اعتقدت بأنه مريض، وحين اقتربت منه، أخفى وجهه عني، ولكنني بقيت واقفًا أريد أن أعرف لماذا يبكي نظر لي دون أن يُخفي دموعه:

- لا أريد أن أعود للمدرسة الداخلية، أريد أن أبقى معك، أنت أخي وأشتاق لك، ولكن أمي لا تريد أن أبقى... طوال الوقت أتساءل لماذا لا تريد أمي أن أبقى في البيت، هل تعتقد أنني ولد سيء؟ أنت لا تعرف هذه المدرسة، لا أحب أحدًا بها ولا أريد العودة لها حتى ولو كانت أحسن مدرسة في العالم، أريد أن أبقى معك في بيتنا.

لم أعرف بماذا أرد، لقد سألت والدتي عدة مرات هذا السؤال ولكنها لم ترد بإجابة واضحة.

عدت لسريري بصمتٍ حزين.

في الصباح وحين ودَّعت أخي لم أتمالك نفسي وبكيت، فأنا أيضًا أشتاق له حين يغادر... نظرت لأمي وأبي وقلت لهما:

- أريد أن يبقى أخي معي أو أن أذهب معه.

لم يرد أبي ونظر لأمي، ولأول مرة أعرف أنه قرار أمي... أجابتني بحرج:

- لابد أن يذهب لمدرسته لأنها أحسن مدرسة...

وقف أخي بجانبي باكيًا، نظرت أمي لنا بغضب وقالت:

- هيا، لا أريد مسرحية الآن، لابد أن يذهب أخوك للمدرسة.

انسحب والدي بصمت.

ودَّعت أخي باكيًا، وودَّعني وجسده يرتعش.

نظرتُ إلى أمي وفكرت بأنها أمي ولكنني لا أشعر بأنها أمه، ولأنها لا تريده فأنا أيضًا لا أريدها ولا أريد أبي لأنهما تخليا عن أخي.

همستُ بأذن أخي بأنني لن آكل الطعام حتى يعود إلى البيت.

توقفت عن الأكل؛ ليس لأنني أريد أن يعود أخي إلى البيت فقط، ولكن لأنني بعد أن غادر لم أعد أرغب بالأكل، فكل شيء بعد مغادرته يبدو حزينًا.

أراقب والدتي التي تعيش حياة طبيعية، وأفكر بأخي الذي يعيش بعيدًا عن أسرته، وأنظر إلى والدي وأشعر بضعف شخصيته أمام والدتي، ورغم حبهما لي لم أعد أرى سوى قسوتهما، ولا أفكر سوى بأخي الوحيد في تلك المدرسة البعيدة... وأزداد بُعدًا عنهما في كل يوم.

• • • •

( ٣٩ )

هناك معنى يدركه الطفل دون تعليم

وهو إن كانت أمه تحترم ذاتها وتقدر أمومتها أم لا

يدرك هذا المعنى ويفهمه حتى ولو لم يجد الكلمات ليعبِّر عنه

أنا طفل... أحب أمي؛ ولكن في البيت فقط، لا أحب أن أذهب معها لأي مكان، ليس لأنني لا أحبها، ولكن بسبب ملابسها وتلك الألوان الغريبة التي تضعها على وجهها والتي تسميها مكياج، وأيضًا تلك الرموش الطويلة التي تُلصقها على جفونها... في إحدى المرات وقعت إحدى تلك الرموش وبقيت الرموش الأخرى على العين الثانية، ولم تنتبه أمي لوقوعها، لم أفهم لماذا كان يضحك البعض حين كانوا ينظرون لنا. وحين وقفت للحديث مع أمي عرفت سبب ضحكهم، لقد كانت إحدى عينيها برموش اصطناعية والأخرى بدونها، فبدا منظرها مضحكًا حتى بالنسبة لي. ولكنني لم أضحك بل غضبت، وأخبرتها بأن تلك الرموش قد سقطت، فارتبكت وأسرعت بأخذ المرآة الصغيرة من حقيبتها ونزعت الرموش الأخرى وضحكت كي تُخفي حرجها، ولكنني وقفت دون حراك ولم أضحك، وقلت لنفسي هذه أخر مرة أخرج بها مع أمي؛ ليس لأنني لا أحبها، ولكن كي لا أرى الآخرين حين ينظرون لها باستغراب أو يضحكون وتعتقد هي أن نظراتهم نظرات إعجاب، وإن اضطررت للذهاب معها سوف أسير خلفها وليس أمامها كي لا أرى نظراتهم.

المشكلة الكبيرة هي حضورها للمدرسة، فأين سأختبئ حين تأتي للمدرسة مع كل تلك الملابس الغريبة وتلك الألوان الأشد غرابة ثم تلك الرموش البلاستيكية! وكيف سأهرب من سخرية الأولاد حين يرونها.

والدي لا يستطيع الحضور، فهو مسافر ولا يأتي إلا في الصيف ويبدو أنه يهرب من وجوده معها، لقد استطاع الهروب، أما أنا فكيف لي أن أهرب؟!

هروبي هو البقاء وحيدًا دون أصدقاء، كي لا أستمع لكلماتهم المستهزئة بها.

أريد كثيرًا أن أسألها لماذا ترتدي كل هذا الأشياء الغريبة، لكنني أعلم بأنها سوف تضحك ثم سوف تتجاهل سؤالي، لذلك أصمت في البيت وفي المدرسة وفي أي مكان أذهب معها إليه، وأتخيل بأنني مجرد شبح صغير لا يراه أحد خجلاً من والدتي.

• • • •

## ( ٤٠ )

خلف الأقدار المأساوية تقبع حكمة إلهية

لا نعلمها إلا حين يشاء الله العليم الحكيم

لذا حين يقع القدر ؛ كُنْ على ثقة بحكمةِ خالق الأقدار

---

أنا طفل... أبي مريض، بدلاً من أن يعتني بي؛ أعتني أنا به، أتجنب إزعاجه أو إثارة غضبه، إن غضب أصمت، وإن نام لا أوقظه، وإن احتجتُ لشيء أحاول أن أحضره بنفسي، أشعر بأنني أنا الأب وهو الابن.

المشكلة هي أن أمي طلبت الطلاق وتزوجت من رجل آخر، كنت أحب أن أراها قبل أن تتزوج، ولكنني الآن لا أحب أن أراها لأنها أصبحت أمًا لأولاد ذلك الرجل ومشغولة معهم دائمًا. حتى حين أزورها بالكاد تتحدث معي، فأعود للبيت حيث أبي المريض وأعرف بأنه لم يبق لي سوى هو رغم مرضه ورغم تصرفاته الصعبة.

حين ينام أراقبه وأرى التعب الواضح على وجهه، وحين يستيقظ أسارع بتلبية طلباته، لا أنزعج من تلبية طلبات والدي ولا من عصبيته، ولكنني أسأل نفسي كل يوم ماذا سيحل بي إن مات أبي؟ أين سأذهب؟ ومع من سأعيش؟

تجرأتُ ذات يوم وسألت والدي أين سأعيش إن أصابه أي مكروه؟

لم يرد والدي، وكان ذلك اليوم الوحيد الذي كان يبدو به هادئًا وصامتًا. وندمت كثيرًا لسؤاله ذلك السؤال.

في المساء جلس بجواري وقال لي:

ـ أعرف أنني أتعبتك معي، وأنني عصبي، أدعو الله كل يوم أن يمنحني المزيد من الحياة حتى تكبر وتصبح رجلاً، لذلك لن أرد على سؤالك، سوف أستمر بسؤال الله أن يمنحني المزيد من الحياة إلى أن تكبر.

وضعت يدي على كتف والدي، وأدركت بأن والدي ليس لديه جواب على سؤالي. وبكيت دون دموع، وأدركت أنه إن مات والدي سوف أكون وحدي بهذه الحياة، ولكنه علمني الصلاة وأصبحت بعد كل صلاة أدعو الله أن يمنح والدي الحياة كل يوم إلى أن أكبر وأشتغل وأستمر بالاعتناء به، فهو والدي وأحبه ولم يتخلَ عني رغم مرضه وتعبه.

• • • •

## ( ٤١ )

إن كانت أخطاؤنا تقتصر علينا فلا بأس

ولكن حين نؤذي غيرنا فنتحول من مخطئين إلى جُناة

---

أنا طفل... توجد لي أم، ولكنها ليست موجودة معنا، تركتني أنا وأخي الكبير في بيتنا الواسع، وتزوجت وسافرت مع زوجها لبلد آخر، تتصل بنا كل يوم ويبدو صوتها مرحًا وسعيدًا.

أحب أخي ويعتني بي، ولكن هناك أشياء كثيرة أحتاجها ولا أستطيع إحضارها بنفسي، وأشياء كثيرة لا أفهمها في المدرسة وأخي لا يوجد دائمًا في البيت كي يشرحها لي.

اعتدت على عدم وجود أمي، ولكن يوجد يومان في كل سنة في المدرسة أشعر خلالهما أنني أكره أمي: يوم اجتماع أولياء الأمور، ويوم عيد الأم... أرى زملائي سعداء بحضور أمهاتهم وأنظر حولي أريد أن أختبئ خلف أي باب كي لا يسألني أحد أين أمي، لن يسألوني أين أبي لأنه ميت، ويبدو موته أخف صعوبة من غياب أمي، بل إن موته شيء جيد لأنه مفهوم، أما غياب أمي فلا أحد يفهمه، وأولهم أنا.

في المرة الأخيرة التي أتت بها أمي رأيتها تشرب من زجاجة صغيرة تحملها في حقيبتها، وحين ذهبتْ لغرفة أخرى فتحتُ حقيبتها وقرأتُ ما هو مكتوب على الزجاجة: "ويسكي".

نظرت إليها حين عادت وكأنني أراها لأول مرة، لم أعد أرغب بالنظر إليها أو الحديث معها، كنت ألومها بصمت لغيابها وتركها لي ولأخي، والآن لا أريدها أن تكون معنا خصوصًا حين تقترب مني لتُقبلني وأشم تلك الرائحة البشعة، فطلبت منها دون خوف ألا تقبلني مرة أخرى. غضبتْ، ولكنني لم أرد على كلماتها، فأنا أعرف بأنها بعد أيام سوف تسافر ولن أراها خلال شهور طويلة، لذا لم أرد ولن أرد.

منذ ذلك اليوم لم أعد أهتم لدروسي، وبدأت أغيب عن المدرسة، إلى أن توقفت عن الذهاب إليها... حاول أخي إقناعي بالعودة ولكنني رفضت.

شهور مرَّت وأنا في البيت لا أهتم لشيء، لأنه ببساطة لا أحد يهتم بي، حتى أخي يخرج لأموره ولرؤية أصحابه.

تترك أمي لنا المال الكافي لكل شيء، ولكنني لا أهتم لشيء ولا أريد شيء ولا أدري ماذا سأفعل غدًا أو بعد غد أو حتى بعد سنة، كل ما أعرفه بأنني لم أعد أهتم لشيء، فلا قيمة لي بالنسبة لأمي ولا لمن حولي، وأخجل من نظرات زملائي بالمدرسة، وأشعر بأن كل من على الأرض يعلم أن أمي مدمنة للويسكي، حتى أنه لا يفارق حقيبتها. وأستمع لمكالماتها الهاتفية مع أصدقائها أو بالأحرى عشاقها؛ يخنقني الغضب ولا أستطيع أن أفعل شيئًا سوى أن أكون لا مبالٍ بأي شيء حتى بمستقبلي.

• • • •

( ٤٢ )

البيوت التي تزرع الخوف في قلوب أبنائها

تزرع معه التوق إلى الهروب بأي لحظة وبأي وقت طال أو قصُر

وحين يغادرون هروبًا لا يجب السؤال لماذا لا يعودون

---

أنا طفل... أحب مدرستي أكثر من بيتي، ليس لأن بيتي ليس جميل، ولكن لأن بيتي مليء بالمشاكل بين أمي وأبي...

حين يكون أبي في المنزل يتشاجر مع أمي، وحين يخرج من البيت تتشاجر أمي معنا. حين أستمع لصراخهما أذهب لغرفتي وأجلس تحت طاولة مكتبي كي لا أسمع أي شيء في البيت، ولكنني ورغمًا عني أستمع لشتائم أمي وأبي. أبقى جالسًا تحت مكتبي إلى أن ينتهي الشجار، ثم أشعر بالنعاس... وحين أغفو، تأتي أمي وتصرخ من جديد غاضبة لأني أنام تحت طاولة المكتب، وتسألني لماذا أفعل هذا كل يوم رغم وجود سرير للنوم، فأصمت ولا أستطيع أن أقول لها بأن شجارهما يخيفني فأختبئ تحت طاولة المكتب.

أرغب بأن أقول لها أحيانًا بأن تترك أبي وتعيش في بيت آخر، ولكنني أعرف الإجابة التي ستقولها والتي تقولها لوالدي: "أبقى هنا لأجل ابني". ولكنها لا تعلم بأنني لا أريد أن تبقى، ولا أريد أن أكون في هذا البيت، ولا أريد أن أعيش معهما، لذلك أفضِّل أن أنام إلى أن يأتي الصباح وأذهب للمكان الذي أحبه، إلى مدرستي.

وحين أكبر سوف أرحل ولن أعود لهذا المكان الذي كبرت به مع الخوف والصراخ وعدم الاحترام.

• • • •

( ٤٣ )

من رحمة الله بالضعفاء أن يرسل لهم رقيقي القلوب

ولطفاء الأرواح؛ حتى ولو لم يكونوا ذوي قربى

لكي يستطيعوا أن يستمروا في الحياة

رغم جهل القساة وتكبُر الظُلمة

---

أنا طفل... أخجل من كل الناس، لا أحب أن يتكلم أحد معي، لأنني لا أعرف بماذا يجب أن أرد، فأصمت.

أمي تقول لمن يتحدث معي: (إنه لا يحب الحديث، إنه خجول).

وحين يقول لي أحد ما شيء جميل أشعر بخجل أكبر، لأن أمي لا تقول لي أشياء جميلة، فأنا بنظرها غبي ولا أفهم شيئًا. تقول لي كل يوم إنني غبي وأحيانًا حمار ولن أنجح في أي شيء.

أنظر لها ولا أدري ماذا أقول لها، فحين تقول لي ذلك لا أستطيع أن أجد أي جملة أو فكرة في عقلي، كل الأفكار تصبح صعبة ولا أجد الكلمات وأفقد القدرة على الحديث. ورغم انها تقول لي ذلك كل يوم إلا أنها في كل مرة أشعر بنفس الشعور كأنها تقول لي هذه الكلمات وغيرها لأول مرة.

كنت في البداية أبكي حين تقول لي ذلك، ولكنني الآن أنظر لها دون بكاء، فتقول: حتى أنك غبي لدرجة أنك لا تغضب من كلماتي.، ولكنني حين أعود لغرفتي أبكي بصمت ولا أجد الكلمات.

لقد اعتدت أن أبقى صامتًا في المدرسة، وحين تسألني المدرسة أتأتئ بالإجابة، فإن كانت مدرستي لطيفة تنتظر إجابتي، وإن لم تكن لطيفة تقول لي ما تقوله لي أمي بأنني لا أفهم شيئًا.

زملائي في المدرسة يسخرون مني، ولا أستطيع أن أرد عليهم ولا أرغب أن أخبر أمي بمضايقتهم لي لأنها سوف تقول إن ذلك بسبب غبائي.

كنتُ دائمًا أشعر بالحزن وأسير وحيدًا في المدرسة، ألعب بورق الشجر أو الأحجار الصغيرة المبعثرة في الساحة وآكل طعامي بصمت بأحد زوايا الساحة الكبيرة...

ولكنها تلك المعلمة الجديدة هي التي غيرت حياتي، اقتربتْ مني وربتت على كتفي وقالت بهدوء:
- لا تخف، سوف أنتظر إلى أن تُكمل الإجابة، وإن لم تعرفها سوف أساعدك لتعرفها.

اسمها هيفاء وهي حنونة ولطيفة، بدأت أحب المدرسة لأجلها، بل بدأت أُجيب أسرع من السابق، واكتشفتُ بأنني جيد في دروسي، فهي تهتم بي وتسأل عني وكأنها أمي، بل هي أحسن من أمي... وحين أفكر بأنها قد ترحل أرغب بالبكاء. فسألتها:

- حين ترحلين، من سيهتم بي؟

وضعتْ يدها على كتفي وقالت:
- سوف أهتم بك دائمًا، وأطلب من صديقاتي المعلمات ذلك، ونتكلم معًا على الهاتف، ولكنني الآن هنا فلا تقلق.

وفي تلك السنة نجحتُ وبتفوق...

نظرت لي أمي باستغراب، واقتربت مني لتقبلني، فابتعدتُ عنها وقلت لها بأنني لا أحب القبلات، وهي من النادر أو ربما نسيت منذ متى قبلتني... عادت للجلوس بصمت ونظرت لي كأنها تراني لأول مرة.

كنت أريد أن أقول لها بأن هناك شمس جميلة في حياتي، ولكنني لم أقل لها ذلك، وكتبت كلماتي إلى مدرستي هيفاء:

- معلمتي هيفاء، أنت الشمس التي أشرقت في حياتي والتي لن تغيب أبدًا.

وحين قرأت مدرستي هيفاء الرسالة قالت لي بحنان:

- وأنت تلميذي المفضل، وسيكون لك مستقبل ناجح، بشرط ألا تستمع لمن يقول لك بأنك لا تستطيع.

••••

( ٤٤ )

فلنوقع معاهدة معًا:

أن يبقى الحب بيننا حتى ولو اختفى الجمال

وأن تبقى المودة بيننا حتى ولو أشتعل الغضب

فنحن لسنا سوى أرواح تتلاقى ثم تفترق

---

أنا طفلة... أمي تحب أختي أكثر مني، بل وتفخر بها وتخجل مني، فأنا لست جميلة، وأختي جميلة ويحبها كل الناس، وأبقى دائمًا في الخلف لأن أمي لا توجه أي حديث لي بحضور الناس، أختي سمر تأخذ كل الاهتمام، وأنا أرغب بأن أختبئ بأي مكان.

فقط في المدرسة يحبونني لأنني متفوقة رغم أنني لستُ جميلة.

أنظر للمرآة وأرى بأنني لست قبيحة، ولكن كلمات أمي تجعلني أشعر بأنني قبيحة، قلت لجارتنا العجوز ذات يوم بأنني لستُ جميلة، فقالت بغضب:

- بل أنتِ جميلة يا ابنتي، ولابد أن تكوني سعيدة بذلك.

فقلت لها بأن أمي تقول لي بأنني قبيحة.

صمتت ثم قالت لي:

- لقد كانت أمي تقول لي ذلك، ولكن الأيام أثبتت لي بأنني كنت جميلة، وأنه يوجد من يحبني، وهذا هو المهم.

كلمات الجارة كانت جميلة، ولكنني في بيتي تنظر لي أمي بأنني قبيحة، لا أفكر حقًا بجمالي، ولكنني أسأل نفسي عشرات المرات إن كانت أمي تحبني أم لا، لو سألتها ستقول لي بأنها تحبني بالتأكيد، ولكن من يحب أحدًا يراه جميلاً حتى ولو لم يكن كذلك.

ما يؤلمني ليس كوني قبيحة بنظر أمي، بل إن أمي لا تحبني ولن أنسَ ذلك طوال حياتي، ولن أنسَ جارتنا العجوز التي ليست أمي والتي أحبتني وقالت لي بأنني جميلة وأنه الأهم من الجمال هو أن يكون هناك من يحبني.

• • • •

( ٤٥ )

الله، بيتي الآمن، وملجأي الأول والأخير، وحبي الذي لا ينطفئ

لأنه حين تنغلق كل أبواب هذا الكون يدع بابه دائمًا وأبدًا مفتوحًا وعلى مصراعيه، خصوصًا للضعفاء مثلي...

هو الله الرحمن الرحيم، بل هو أرحم الراحمين

---

أنا طفل... طفل مشلول، لم أمشي طوال حياتي، أجرُّ نفسي على كرسي له عجلات كبيرة، ويجرني إخوتي وأبناء جيراني حين يريدون أن يلعبوا.

أراقبهم وأشعر بالسعادة معهم، حتى ولو لم ألعب معهم، توجد ألعاب نستطيع أن نلعبها معًا، وألعاب أخرى لا نستطيع، ولكنني دائمًا أسعر بالسعادة معهم لأنهم حولي يضحكون ويلعبون وأنسى أنني مشلول.

ولكنني أشعر أحيانًا بالقلق حين أفكر ماذا سيحصل حين نكبر، سألت أمي: هل سيبقون دائمًا معي؟

صمتت قليلاً ثم ابتسمت وقالت:

- بالطبع، سوف تكونون دائمًا معًا.

شعرت بالسعادة لإجابتها.

ولكن في المساء وحين عاد والدي سمعت أمي تقول له:

- تُرى كيف ستكون حياة أحمد حين يكبر إخوته ويذهب كل واحد لبيته وحياته؟! الآن يتسلى معهم ولكن حين يكبرون!!

أجابها والدي:

- لا تفكري الآن ودعي الأمر لله.

شعرت بالخوف والحزن، لأنهم سيكبرون ويغادرون هذا البيت وأبقى وحيدًا مع أمي وأبي، بل ربما أبقى وحيدًا دائمًا... فبكيت، ثم قلت لنفسي ما قاله والدي لأمي:

- لابد أن أدع أنا أيضًا الأمر لله.

• • • •

( ٤٦ )

الحب يعالج أصعب المشاكل

وغيابه يجعل المشاكل أكثر تعقيدًا

فلنا أن نختار حياة مع الحب أو بدونه

ولكننا حتمًا لا نملك الاختيار أمام المصائب

---

أنا طفل... أغضب كثيرًا، وأكسر أشياء كثيرة، وأمزق جلد مقعد الباص حين أجلس على أي كرسي، لا أضرب الأولاد، ولكنني أحب تخريب الأشياء، ثم أختبئ وأنكر أنني من فعل ذلك.

لا أدري لماذا أفعل ذلك، ولكنني حين أفعله أشعر بالارتياح، وحين يصرخ بوجهي والدي أرغب بأن أخرب المزيد من الأشياء.

أبي لا يتحدث معي، لا يأخذني بين ذراعيه مثل والد صديقي أحمد، بالكاد يتكلم معي حول أمور المدرسة، وحين تخبره أمي بأخطائي يصرخ بوجهي، هو لا يضربني ولكنه يعاملني كأنني غير موجود إلا حين أرتكب خطأ ما، وكلما شعرت بأنني غير موجود بالنسبة له أخرِّب أشياء أكثر.

المقاعد ممزقة من الخلف في منزلي، ومقعد دراستي يمتلئ بالحفر لأنني أغرز أقلامي في حافة المقعد وفي طاولة مكتبي، قالت لي أمي بأنها لن تشتري لي بعد الآن أي مقاعد جديدة أو طاولة جديدة، ولم أهتم لأنني سوف أخربها أيضًا.

ويصرخ أبي بوجهي من جديد لأنني أخرب الأشياء، أقف أمامه صامتًا وأقول لنفسي لو أنه فقط يضمني إليه ويقول كلمات لطيفة سوف أتوقف عن تكسير وتخريب الأشياء، ولكنه دائمًا أمامي قاسيًا ومتجهمًا ولا يحبني وأنا لا أحب الأشياء من حولي ولكنني أحبه، فكيف سأقول لوالدي ما أفكر به وهو دائمًا متجهم غاضب؟

• • • •

( ٤٧ )

لن يعلم أي منا مدى ما يتركه رحيل الأم أو الأب

في نفس الطفل

فقط الله تعالى يعلم، والأيام تجعلنا نرى أي حزن لا يرحل

يسكن روح اليتيم

لذا كان لابد من منح اليتيم من الحب أكثر مما نمنحه لأولادنا

---

أنا طفل... أخافُ كثيرًا، ليس من الأشباح أو أفلام الرعب، بل من أن تموت أمي.

أمي مريضة، ولا أعرف ما هو مرضها، ولكنها فقدت كل شعرها وتغطي رأسها في الليل والنهار وكذلك لا رموش لها، ولون وجهها أصفر. حين تعود من المستشفى تكون متعبة ولا تتحدث مع أحد.

منذ أن مرضتْ أمي وأبي لا يتحدث كثيرًا، يجلس صامتًا أغلب الوقت ولا يضحك مثل السابق.

أمي تطلب مني ومن أخي أن نقوم بأشياء كثيرة في البيت لم نكن نفعلها في السابق، كأن ننظف أو نرتب، وحين نغضب لما تطلبه منا، تصمت وتبكي، ثم نعتذر منها ونلبي طلباتها، فهي لم تعد تقدر على عقابنا أو حتى الصراخ بوجهنا.

الليل في البيت يبدو مخيفًا لأنه وفي كل لحظة يمكن أن تتعب أمي ويطلب أبي سيارة الإسعاف، لذلك أذهب لغرفتي وأدعو الله أن أنام بسرعة كي لا أشعر بالخوف.

كل يوم حين أعود للمدرسة أذهب بسرعة لغرفة أمي لأتأكد بأنها لا تزال موجودة ولم تذهب إلى المستشفى، أو انها لم... تمت.

لا أخاف من مرض أمي، ولكنني أخاف أن تموت، وفي كل يوم أسأل أخي كيف ستكون حياتنا إن ماتت أمي... لا يرد أخي، ولكنني في خيالي أضع صورًا حزينة لأن كل ما سيكون بعد أمي ومهما كان جيد سوف يكون حزينًا وربما مؤلمًا أيضًا، فحتى لو كانت أمي مريضة فهي أجمل ما في بيتنا، وإن رحلت لا أدري كيف سيكون هذا البيت!

ولكنني أعلم بأنها ستموت، وأتخيل البيت بدونها، فتغمرني الدموع وأقول لنفسي: ربما ستعيش ليوم آخر، لشهر آخر، أو لسنةٍ أخرى... وتبقى نظراتي معلقة على باب غرفتها.

••••

( ٤٨ )

الوحدة قاتلة،

لكنها بالنسبة للطفل رحلة عذاب قد تنتهي بالموت

وقد تنتهي بموت الحب في نفسه

وفي كلتا الحالتين هي جريمة بشعة

---

أنا طفل... الخادمة تعتني بكل أموري وبدراستي أيضًا، أما أختي الصغيرة فتلعب دائمًا لوحدها. عمرها أربع سنوات، تركِّب الأشياء ثم تبعثرها من جديد، ترسم ثم تمزِّق ما ترسمه. وهي ترسم خطوطًا أو أشكالاً بسيطة بألوانها الخشبية أو المائية.

الخادمة تعتني بي أكثر لأن طلباتي أكثر. أما أختي الصغيرة فتجلس أغلب الوقت وحيدة في الصالة الكبيرة أو بغرفتها، تطل عليها الخادمة من حين لآخر، وحين تجد أنها هادئة وتلعب تتركها وتعود لمتابعة أموري أو لتنظيف البيت.

سألتُ الخادمة ماذا تفعل أختي حين أكون في المدرسة، قالت لي بأنها دائمًا هادئة وتلعب لوحدها.

أما أمي فهي غير موجودة أغلب الوقت، وأبي طوال النهار في العمل، وأحيانًا كثيرة أيضًا في الليل، أمي لديها الكثير من الصديقات والأقارب والاحتفالات، وليس لديها الوقت الكافي لي ولأختي، قبل أن تخرج تقول للخادمة كل ما يجب أن تفعله، تقبِّلنا ثم تخرج.

هذه كانت حياتي أنا وأختي، ولكن... كل شيء تغير حين..

لا أدري لماذا لا أستطيع أن أقول تلك الكلمات...

حين ماتت أختي الصغيرة نورا، كانت أختي ستدخل الروضة بعد شهر، ولكنها ماتت فجأة، وجدتها الخادمة ممددة في غرفتها على الأرض ولا تتحرك. وحين أتت سيارة الإسعاف أخبرنا الطبيب بأنها فارقت الحياة.

امتلأ البيت بالناس، رجالاً ونساءً، وكل شيء كان يدور حولي دون توقف؛ لم أكن أرى سوى أختي الجبيبة نورا، أراها تلعب وحيدة ولا تغيب صورتها عن خيالي.

لم أبكي لأيام لأنني لم أصدِّق بأنها ماتت، وكلما مرَّ وقت على غيابها يزيد حزني لأنني أدرك أكثر بأنها ماتت فعلاً وأنها لن تعود أبدًا.

كان يمكن أن أنسى موتها، ولكن ما قالته الخادمة لصديقتها التي تعمل في البيت المجاور جعلني لا أنسى ولن أنسى موت أختي، قالت لها:

- هذه الصغيرة ماتت من الوحدة...

والآن كلما تذكرت نورا الصغيرة أبكي ولا أريد أن أنظر لأمي، أمي التي شاركت كل الناس أفراحهم ومناسباتهم؛ لم تشعر بوجود أختي الصغيرة...

لقد ماتت نورا ومات معها حبي لأمي.

• • • •

( ٤٩ )

كل ما نفعله بهذه الحياة له تردد وصدى

هذا ما يقوله عالم الفيزياء

لذا حين يقسو أي منا لابد أن يحذر من نفسه

لأن تردد القسوة لابد أن يرتد عليه مهما طال الزمن أو قصر

---

أنا طفل... لا أعرف أبي. أمي أخبرتني بأنه طلقها ورحل، لا تدري إلى أين.

أمي تعمل كثيرًا وتعود متأخرة إلى البيت، لأنه لا يوجد من يُنفق علينا، فنحن لا نعلم أين أبي.

أنظر للأولاد في المدرسة وأرى آباءهم يحضرون لأخذهم أو للسؤال عنهم، فأشعر بالحزن الشديد ولا أرغب بالأكل حين أعود للبيت، تسألني أمي لماذا لا أريد أن آكل، فلا أرد لأنني لا أريد أن تحزن. ولكنني أشعر بحزن شديد ولا أعرف كيف أتخلص منه، ولا أستطيع أن أنسى أبي، فكيف أنساه وكل الأولاد من حولي لديهم آباء، كما وأنني لا أعرف بماذا أُجيب حين يسألونني عنه، أتمنى لو أنه ميت على الأقل أتجنب الحرج والخجل، ولكنه ليس ميتًا وليس حيًا، وأنا لا أستطيع أن أهرب من سؤال الناس عنه لذا قررت ألا أتحدث مع أحد في المدرسة وأن أبقى وحيدًا كي لا يسألني أحد عنه.

الإدارة أخبرت أمي بأنني أبقى وحيدًا ولا أتحدث مع أحد. وحين سألتني لم أدرِ بماذا أُجيبها، وقفت أمامها صامتًا وحين الحَّت قلت لها: إما أن أبقى وحيدًا أو أضرب كل يوم ولدًا ما لأنه يسخر مني لأنني لا أعرف أين أبي، فماذا تفضلين؟

صمتت أمي وأدركت أنها تفضل أن أبقى وحيدًا.

أبي رحل ولا ندري أين هو، وربما هو ميت، ولكنه ورغم رحيله ترك كل الألم والحزن في بيتنا.

• • • •

( ٥٠ )

أن تختار الحب والتضحية بهذه الحياة هو أن تختار إنسانيتك

وأحق الناس بهذه الإنسانية هم الأطفال

لأنهم يدخلون الحياة من بوابة الضعف والحاجة لمن حولهم

---

أنا طفل... أعيش مع أبي، وأبي هو أمي أيضًا، لا أعرف أمي، فقد تركتني منذ أن كنتُ صغيرًا كما أخبرني أبي.

رأيتها حين كبرت مرة أو مرتين، وفي كل مرة أرى امرأة غريبة عني، ولكن والدي يقول لي إنها أمي ولابد أن أكون لطيفًا معها، وأنها تركتني رُغمًا عنها.

تتصل بي أحيانًا ولا أدري ماذا أقول لها، أحاول أن أجد الكلمات، وتنتهي المكالمة وأنا أحاول دائمًا إيجاد الكلمات.

لقد ربَّاني أبي وأعتنى بي ولم يتزوج مرة أخرى لأجلي، فهو أبي وأمي وصديقي وأخي، إنه كل وجودي، أراه أحيانًا يجلس وحيدًا في الليل حين يعتقد بأنني نائم، يقرأ أو يشاهد التلفاز، وأشعر بأنه وحيد وحزين ولكنني لا أستطيع أن أفعل له شيئًا.

سألته ذات مرة لماذا لم يتزوج، فأخبرني أنه لا يريد امرأة أخرى قد لا تكون لطيفة معي.

فشعرت أنني السبب بوحدة والدي.

لكن حين زارتنا عمتي ذات مرة، سمعتها تقول له بأنه لم يتزوج بسبب قسوة أمي لأنها تركته وتركتني دون سبب، ولا يريد أن يتزوج بأخرى قد تتركه أيضًا.

ففهمت حينها أن أمي تركتني برغبتها وليس رُغمًا عنها، وأنها آلمت أبي أيضًا.

شعرت بالارتياح لأنني لستُ السبب بوحدة أبي، ولكنني شعرت بألم أشد لأجله.

حين اتصلت أمي في المرة التالية أخبرت أبي أنني لا أريد الحديث معها، فغضب مني، نظر لي للحظات وأخبرها بأنني خارج البيت، وحين عاد ليسألني قلت له دون خوف لأنني لا أخاف من أبي بل أحبه:

- أبي لقد عرفت كل شيء، لقد تركتني وأنا صغير، وتركتك وجعلتك تتألم، لماذا يا أبي تحتمل كل هذا الألم؟ إن كان ذلك لأجلي فأنا لم أعد صغيرًا ولا أريد أن أراها، وإن كنت لا تزال تحبها...

قاطعني وقال بهدوء:

- بل لأجلك يا بني، لم أعد أحبها منذ أن وضعتك في سريرك الصغير وغادرت كأنك لست ابنها.

قلت لأبي وأنا أحبس دموعي:

- الآن يا أبي أخبرك بأنك كل وجودي بهذه الحياة، ولا حاجة لي بها.

ضمني أبي لصدره وشعرت بدموعه الصامتة...

وهكذا عشت وأعيش مع أب هو كل الحياة بالنسبة لي.

• • • •

( ٥١ )

لابد أن تدافع عن نفسك حين وجود الخطر

كما لابد أن تدافع عن مشاعرك حين وجود الكره

لأن الكره قاتل لكل معاني الجمال في النفس

فلابد من حماية النفس ضد الكره والحقد

وكل ما يدمر الجمال الإلهي بها.

---

أنا طفل... لا أحب بيتي، أحب فقط غرفتي الصغيرة، حيث أعيش وأترك باقي البيت لأبي وأمي كي يتشاجرا، أسمع صراخهما طوال الوقت ولا أرغب بأن أخرج لأسمع المزيد. أمي تكره أبي، وأبي يكره أمي، وأنا لا أحب أخوتي، ولا أحب هذا البيت، أريد فقط أن أكون في غرفتي، لا أريد أن أتجول في بيتي حيث الكره يسكن في كل الغرف والصالات.

حين يخرج أبي من البيت تصرخ أمي بوجهي ووجه إخوتي، وحين تخرج هي من البيت يجلس أبي بصمت في الصالة ولا يتحدث معنا.

أرغب أحيانًا أن اسألهم لماذا أحضرونا لهذه الحياة، ولكنني أصمت وأذهب لغرفتي.

في المدرسة أنسى أحيانًا بيتي وأكون سعيدًا مع أصدقائي، وحين أتذكر البيت أصبح عصبيًا وأريد أن أضرب أي أحد من حولي.

في الليل أكتب على دفتري الصغير أرقامًا لا يستطيع أحد أن يفهمها، إنها أرقام أحسب بها عدد الأيام التي يجب أن أعيشها بهذا البيت، وفي كل يوم أشطب رقم من هذه الأرقام. لدي عدة دفاتر ممتلئة بهذه الأرقام المشطوبة... حين رأتها أمي استغربت وسألتني: ما هذه الدفاتر؟... فقلت لها إنها لعبة أرقام خاصة بي. فسألتني: ألا تنتهي هذه اللعبة؟

قلت لها: بلى، لابد أن تنتهي، وحين تنتهي سوف أحرق هذه الدفاتر.

نظرت إلى أمي بصمت وقلت لنفسي دون صوت: أجل، حين تنتهي الأيام التي لابد أن أعيشها هنا سوف أحرق هذه الدفاتر، وسوف يكون هناك الكثير منها، وحين تحترق كلها سوف أرحل ولن أعود أبدًا لهذا البيت حيث حرقت كل أيامي وذكرياتي الحزينة به.

لن أرحل عن البيت وعن أهلي بل عن الكره، لذلك سوف يسامحني الله تعالى لأنني سأهرب من الكره فقط وليس منهم.

• • • •

( ٥٢ )

القدرة الحقيقية هي أن تمنح الحب في طريقك،

لمن تعرف ولمن لا تعرف

لمن تعرف لأنهم أحق الناس بحبك،

ولمن لا تعرف لأنهم قد يكونوا بأمس الحاجة ولو لشيءٍ من الحب

وفي كل الأحوال إن منح الحب لا يكلف مالاً

ولكنه يمنح بركة الله تعالى في كل ما حولك

فإن بخلت بالمال فحاول ألا تبخل بالحب،

وإن لم تستطع فأنت الفقير حقًا

حتى ولو امتلكت كل ما بهذا الكون

---

أنا طفل... أعيش في دار للإيتام، لا أعرف أمي ولا أبي، لا أعرف سوى هذا البيت الذي يُسمى دار الأيتام، والمشرفة علينا نناديها جميعًا بماما، أي أنها ماما للجميع، وهناك أيضًا نساء أُخريات يعتنين بنا، وهناك من يزورنا من الناس ويحضرون لنا ملابس وطعامًا.

حين يأخذنا الباص لرحلة ما، أرى أطفالاً يلعبون مع أهلهم، وأرى أطفالاً في حدائق المنازل يجلسون بجوار أهلهم، وأنا أجلس خلف نافذة الباص أرغب بالبكاء، ولكنني أحبس دموعي لأنني بكيت كثيرًا في السابق، والآن أنظر إليهم فقط ولا أريد أن أفكر بأمي وأبي.

لكنني وفي الليل حين أكونُ وحيدًا في سريري؛ لا أستطيع أن أمنع دموعي، فكل الملابس وكل الطعام وكل الغرف والبيوت لا تساوي وجود أم تضمني لصدرها، ولا أب يحملني عاليًا بين ذراعيه، لذلك أعيش ولكنني لا أجد طعمًا للحياة.

• • • •

( ٥٣ )

اللغة ليست فقط وسيلة تعبير، بل هي جذور للنفس والروح والعقل

وحين تُقتلع هذه الجذور أو تُجفف لا يتبقى سوى هوية هشة ومهزوزة تنقاد لأي تيار بلا انتماء وبلا فكر

لذا لا يجب أن نستغرب حين تجف الروابط الأسرية ويضعف الانتماء أو حتى الإيمان

لأنه هناك عميقًا تم اقتلاع ما يشكل البنية الاساسية للهوية

---

أنا طفل... طفل عربي، ولكنني أتحدث الإنجليزية في المدرسة وفي البيت. طلبت مني أمي أن أقرأ قصة باللغة العربية فلم أستطع القراءة، ضحكتْ وقالت بأنني فعلاً أصبحت أتكلم الإنجليزية بطلاقة لدرجة أنني لا أستطيع قراءة العربية بسهولة.

أمي كانت سعيدة بذلك، وأخبرتني بأنها ستحضر لي مدرسًا ليقرأ لي ما أحتاجه لدروس اللغة العربية.

لا أتكلم الإنجليزية بطلاقة فقط، بل وأفكر أيضًا بالإنجليزية، كنت سعيدًا بإنجازي هذا، وكذلك أمي وأبي... ولكن في يومٍ ما حضر جدي، لم أره منذ سنوات لأنه يعيش في بلد آخر، احتضنني بسعادة وقال لي بأنني كبرت كثيرًا.

بعد الغذاء وحين سمع آذان العصر طلب مني أن أذهب معه إلى المسجد، ترددت قليلاً لأنني لا أعرف كيف أصلي، ونظرت إلى أمي، ذهبت أمي إلى المطبخ ونادتني وقالت لي:

- اذهب معه وتوضأ كما يتوضأ وصلي كذلك كما يصلي، لن يلاحظ أنك لا تعرف الصلاة، لأنه بصلاة الجماعة الإمام يقوم بكل شيء وأنت تتبعه فقط.

عدتُ مع جدي من المسجد، شعرت بسعادة غامرة وأنا أمشي معه، وشعرت بمدى سعادته بوجودي معه، جدي لا يُخفي حنانه وحبه لي، أشعر أنه يريد أن يضمني لصدره بكل دقيقة، وتمنيت لو أنه يعيش معنا دائمًا، ولكن والدتي لا تريد ذلك، كما أنه لا يأتي دائمًا لزيارتنا لأن أمي لا تحب ذلك، ولا تحب أن أذهب لزيارته... لذلك حين يأتي يبدو أنه يريد أن يعوض كل اللحظات التي لا يراني بها، وأشعر بشوقه ودفئه طوال الوقت.

قبل أن أنام، أتى جدي لغرفة نومي، جلس بقُربي على السرير، كان يحمل معه القرآن الكريم، طلب مني أن أقرأ صفحة من القرآن قبل أن أنام. ترددت قليلاً، ثم قلت له بأنني لا أستطيع أن أقرأ اللغة العربية بشكل جيد، ابتسم واعتقد بأنني أخجل منه أو أنني لا أرتل القرآن، فطلب مني أن أقرأ ما أستطيع قراءته.

بدأت بالقراءة بأحرف متلعثمة وغير مترابطة، جلس جدي أمامي والدهشة تعلو وجهه، ثم انقلبت الدهشة إلى غضب صامت، قال لي بصوت مخنوق:
- يا بني، عمرك أربع عشرة عامًا ولا تعرف القراءة، لا تعرف كيف تقرأ كتاب الله، كنت أعتقد بأنك لا تعرف التجويد، ولكنك لا تعرف كيف تقرأ اللغة العربية... لا حول ولا قوة إلا بالله.

نهض جدي وذهب إلى الصالة الكبيرة حيث يجلس أبي وأمي وقال بغضب:
- ابنك لا يعرف أن يقرأ القرآن... لماذا؟ ألا يذهب إلى المدرسة؟

صمت أبي، وردت أمي بصوتٍ جاف:
- بل يذهب لأفضل مدرسة في البلد، ويدرس عدة لغات ويُتقن الإنجليزية، ثم ماذا سوف يفعل باللغة العربية، لن تنفعه بشيء.

صمت جدي للحظات ونظر لي ثم نظر إلى أمي وأبي:

- لن ينفعه سوى كتاب الله، وقد حرمتموه من فضلٍ عظيم، حرمتموه من قراءة كلمات الله وتجويدها ومحبتها، إنها جريمة بحق ابنكم، يمكن أن يدرس أي لغة يشاء ولكن ألا يستطيع أن يقرأ كتاب الله! لا حول ولا قوة إلا بالله.

غادر جدي في اليوم التالي...

أحب جدي لأنه حنون ويحبني كثيرًا، وحين غادر قبل موعد سفره شعرت بحزن كبير، نظرت إلى القرآن الذي كان يمسكه، فتحت صفحاته، رأيت جمال الحروف والسطور، ولكنني لا أعرف أن أقرأه، ولأول مرة شعرت بالحزن العميق لأنني لا أستطيع أن أقرأ اللغة العربية، لأول مرة أشعر بأنني لست فخورًا بإتقان اللغة الإنجليزية، لأنني لا أعرف كيف أقرأ كتاب الله كما قال جدي.

وقفت تائهًا أمام الحروف والكلمات وكأنني في طريق لا أعرف معالمه، احتضنت القرآن رغم أنني لا أعرف كيف أقرأه، وشعرت بحبٍ عميق له لأن جدي يحبه، وقلت لأمي:
- لماذا يا أمي؟ لماذا حرمتني من قراءة كتاب الله؟ ثم هل تعرفين أنتِ قراءته؟

أجابت بعصبية:

- بالطبع أعرف.

- ولماذا أنا لا أعرف.

أجابت بغضب:

- لأن...

لم أستمع لما قالته وخرجت من الغرفة حاملاً القرءان معي.

• • • •

# المؤلفة في سطور

- كاتبة وروائية ومحامية من مواليد مدينة الخليل – فلسطين.
- حاصلة على ليسانس حقوق من جامعة دمشق - سوريا.
- حاصلة على ماجستير قانون من جامعة مونبيليه - فرنسا.
- حاصلة على الدكتوراة في القانون والشريعة من الجامعة الإسلامية العالمية - القاهرة.
- عضو نقابة المحامين الأردنيين.
- عضو نقابة المحامين الفلسطينيين.
- عضو اتحاد كتاب فلسطين.
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين.
- عضو نادي القصة بالإسكندرية.
- نشرت لها العديد من المقالات الفكرية والأدبية والعلمية باللغتين الفرنسية والإنجليزية في العديد من الصحف العربية منها: القدس العربي - الرأي الأردنية - الدستور الأردينة - جريدة الغد - جريدة العرب اليوم. والعديد من المواقع الإلكترونية.
- تم مناقشة أعمالها في العديد من الندوات في القاهرة وعمَّان.
- البريد الإلكتروني: **novels2012@hotmail.com**
- صدر لها:

  - اللاعودة : قصص قصيرة. دار الشروق، الأردن، ١٩٩٣م
  - جداول دماء وخيوط فجر : قصص قصيرة. ندوة الاثنين في الإسكندرية، ٢٠٠٤م
  - أنين مدينة : رواية. ندوة الاثنين في الإسكندرية، ٢٠٠٥م
  - رائحة الميرامية : رواية. ندوة الاثنين في الإسكندرية، ٢٠٠٥م
  - غيوم رمادية مبعثرة : رواية. ندوة الاثنين في الإسكندرية، ٢٠٠٥م

- في انتظار النور: رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م
- أساور مهشمة : رواية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٠٩م
- لأني أشتاقُ إليك : رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م
- رحلة ذات لرجل شرقي : رواية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١١م
- مدينة في الروح : رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١١م
- حالة روح لامرأة ما بعد الخمسين : رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م
- رسائل الصمت من أمريكا : رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م
- حين يتحول الوجود إلى ورقة وقلم : مقالات. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- أنا طفل : كتاب حول معاناة الطفل العربي المعاصرة. الطبعة الأولى: دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- لست وحيدًا : مقالات دينية وأدبية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٣م
- سويسرا الوطن والمنفى : رواية. دار الهلال المصرية، القاهرة، ٢٠١٤م
- أن تكوني امرأة : مقالات عن المرأة. مؤسسة دار الأهرام المصرية، القاهرة، ٢٠١٥م
- قصة حلم : رواية. دار المعارف المصرية، القاهرة، ٢٠١٨م
- تأملات امرأة : مقالات. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠٢١م
- لا أريد طفولتي : الطبعة الثانية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠٢٢م
- امرأة سوداء في باريس : رواية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٢٢م

www. shams-group. net